ذكر بناء الصناعة بالروضة

قال الكندى: بنيت بالجزيرة الصناعة فى سنة أربع وخمسين. والصناعة: اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية، وأول صناعة عملت بأرض مصر التى عملت بالروضة فى سنة أربع وخمسين من الهجرة، فاستمرت إلى أيام الإخشيد، فأنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر، وجعل موضع الصناعة التى بالروضة بستانا سماه المختار [1].

قال المقريزى: وكان نقل الصناعة من الجزيرة إلى ساحل مصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة.

وقال (ابن ميسر) [2] 1: فى سنة عشرة وخمسمائة نقل المأمون البطائحى الوزير عمارة المراكب الحربية من الصناعة التى بجزيرة مصر إلى الصناعة القديمة بساحل مصر، وبنى عليها منظرة كانت باقية إلى آخر أيام الدولة العلوية. انتهى.

وهذا يدل على أن الصناعة أعيدت إلى الروضة بعد أن أبطلها الإخشيد، حتى نقلت ثانيا فى السنة التى ذكرها ابن ميسر [3].

---

(١) فى الأصل: المختال. وقال فى الهامش: صحتها المختار.

(٢) ما بين القوسين جاء مكانه فى جـ: ميسرة.

(٣) فى جـ: ميسرة.

---

1 هو أبو عبد الله، تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن ميسر، مؤرخ مصرى. توفى بالقاهرة سنة ٦٧٧ هـ.

وقال ابن المأمون 1: كانت جميع المراكب الأساطيل ما تنشأ إلا بالصناعة التى بالجزيرة، فأنكر الوزير المأمون ذلك، وأمر بأن يكون إنشاء الشوانى [1] وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر، وأضاف إليها دار الزبيب، وأنشأ المنظرة بها، واسمه إلى الآن باق عليها، وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدم [2] الأساطيل ورميها بالمنظرة المذكورة، وأن يكون ما ينشأ من الحرابى والشلنديات 2 فى الصناعة بالجزيرة.

وذكر ابن أبى طى [3] 3: أن المعز لدين الله أنشأ ستمائة مركب لم ير مثلها فى البحر فى مدينة [4]، وعمل دار صناعة بالمقس 4.

وقال القضاعى فى الخطط: كانت الصناعة بالجزيرة، فنقلها الإخشيد إلى ساحل مصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وبنى مكانها الجنان المعروفة بالمختار، وكان السبب فى تحويل الصناعة من الجزيرة أن بجكم التركى وعلى بن بدر ولطيف غلام النوشرى لما خالفوا على الإخشيد انحدروا فى مراكبهم، فنزلوا الجزيرة، وملكوا الصناعة.

فركب الإخشيد فى جيشه حتى وقف على الساحل، فنظر إليهم فقال: صناعة

---

(١) فى الأصل: السراير. والشوانى: جمع شينى أو شينية، وهى سفينة من أكبر السفن الحربية فى مصر آنذاك.

(٢) فى الأصل: تقدمت. وما أثبتناه أوفق بالسياق.

(٣) فى ب، جـ: يحيى.

(٤) فى الأصل: مدينته.

---

1 هو أبو الغنائم، عبد الصمد بن على بن محمد الهاشمى العباسى البغدادى، سمع جده أبا الفضل بن المأمون، والدارقطنى، وجماعة، ويقول عنه السمعانى: إنه كان ثقة نبيلا مهيبا تعلوه سكينة ووقار. توفى فى شهر شوال من سنة ٤٦٥ هـ، وله تسع وثمانون سنة.

2 الحرابى والشلنديات: اسم مراكب كانت مخصصة لنقل الأدوات الحربية والمقاتلين.

3 هو يحيى بن حميدة بن ظافر بن على بن عبد الله الغسانى الحلبى، الشهير بابن أبى طى النجار، عالم بالأدب ومؤرخ شيعى من أهل حلب. توفى سنة ٦٣٠ هـ.

4 المقس: اسم مكان كانت تؤخذ فيه المكوس والضرائب. ويسمى أيضا: المقسم.

يحال بينها وبين صاحبها [1]، ما هذه صناعة. اعملوا الصناعة ههنا. فلما انكشفوا ورجع الإخشيد، أمر بالصناعة فحولت إلى موضعها [2] هذا.

*** ذكر من كان [3] بالروضة فى أيام عبد العزيز بن مروان:**

قال ابن عبد الحكم 1: وكان بالجزيرة فى أيام عبد العزيز بن مروان أمير مصر خمسمائة فاعل، أعدت لحريق - إن كان - فى البلاد أو هدم.

*** ذكر من تولى الروضة نيابة عن [4] عبد العزيز بن مروان:**

قال القضاعى فى الخطط: يقال إن أبا غنيم [5] كان قد ولى الجزيرة بمصر من قبل عبد العزيز بن مروان، ثم عزله عنها، وكان يجلس فى (علو داره) [6] التى تسمى دار النيل [7]، وهو ينظر إلى الجزيرة.

*** ذكر الحصن الذى بناه السلطان أحمد بن طولون بالروضة:**

قال القضاعى: حصن الجزيرة بناه [8] أحمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حريمه وماله، وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغا من العراق واليا على مصر وجميع أعمال ابن طولون، وذلك فى خلافة المعتمد على الله، فلما بلغ أحمد بن طولون مسيره تأمل مدينة فسطاط مصر، فوجدها لا تؤخذ إلا من جهة النيل، فبنى الحصن بالجزيرة التى بين الفسطاط والجزيرة؛ ليكون (مغلقا لحرمه) [9] وذخائره، واتخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف إليها من العشاريات 1 وغيرها،

---

(١) زاد بعدها فى الأصل: وبينها. وهى مقحمة.
(٢) فى الأصل: يومنا.
(٣) فى الأصل: تولى.
(٤) لم ترد هذه اللفظة فى الأصل.
(٥) فى ب، جـ: عيثم.
(٦) فى ب، جـ: عمله وداره.
(٧) فى ب، جـ: القبلة.
(٨) لم ترد هذه اللفظة فى الأصل.
(٩) فى الأصل: حرما لمعقله. وفى جـ: مغلا لحرمه.

العشاريات 1 وغيرها، فلما وصل موسى بن بغا إلى الرقة تثاقل عن المسير؛ لعظم شأن ابن طولون وقوته، ثم لم يلبث موسى أن مات، وكفى ابن طولون أمره.

وقال فى ذلك محمد بن داود:

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا ... ساقيه دركا[1] إلى الكعبين والعقب

بنى[2] الجزيرة حصنا يستجن به ... بالعسف والضرب والصناع فى تعب

وواثب الجيزة[3] القصوى فخندقها ... وكاد يصعق من خوف ومن ريب

له مراكب فوق النيل راكدة[4] ... لما سوى (القار للقنطار)[5] والخشب

ترى عليها لباس الذل مذ بنيت ... والشط ممنوعة من عزة الطلب

فما بناها لغزو الروم محتسبا ... لكن بناها غداة الروع للهرب [6]

وما زال حصن الجزيرة عامرا أيام ابن طولون، حتى أخذه النيل شيئا فشيئا، وقد بقيت منه بقايا متقطعة إلى الآن، وقد ألف القاضى أبو عمرو عثمان النابلسى كتابا وسماه: (حسن السريرة [7] فى اتخاذ [8] الحصن بالجزيرة)، ولم أقف عليه. ولكن المقريزى ينقل عنه كثيرا، ومما نقله عنه أنه قال فيه: « رأيت كتابا قدر اثنتى عشرة كراسا مضمونة فهرست أسماء شعراء الميدان الذى لأحمد بن طولون. قال: فإذا كان

---

1 فتوح مصر، ص ١٩٧.

(١) فى الأصل: درقا.

(٢) فى الأصل: ملأ.

(٣) فى ب، جـ: الجزيرة.

(٤) فى الأصل: راكبة.

(٥) فى ب، جـ: النار للنظار.

(٦) فى ب، جـ: والطلب.

(٧) فى ب، جـ: السيرة.

(٨) فى ب، جـ: بناء.

1 العشاريات: نوع من المراكب يجر بعشرين مجدافا، يستعمل فى نقل البضائع.

أسماء الشعراء فى اثنتى عشرة كراسا، كم [1] يكون شعرهم ؟ قال: مع أنه لا يوجد من ذلك الآن ديوان واحد » 1.

وذكر أبو الخطاب بن دحية 2 أن قطائع أحمد بن طولون كان بها أكثر من مائة ألف دار خربت، وهلك من فيها من الغلاء العظيم الذى كان أيام المستنصر.

وحدث محمد بن أبى يعقوب الكاتب قال: لما كانت ليلة عيد الفطر سنة اثنتين وتسعين ومائتين تذكرت ما كان فيه آل طولون فى مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح، وملونات البنود والأعلام والثياب، وكثرة الكراع، وأصوات الأبواق والطبول، فاعترتنى لذلك فكرة، ونمت فى ليلتى، فسمعت هاتفا يقول: ذهب الملك والتملك والزينة لما مضى بنو طولون.

وقال (سعيد القاضى) [2] يرثى آل طولون، ويذكر الحصن الذى بالجزيرة:

جرى دمعه ما بين سحر [3] إلى نحر ... ولم يجر حتى أسلمته يد الصبر [4]

وبات وقيذا3 للذى خامر الحشا ... يئن كما أن الأسير من الأسر

وهل يستطيع الصبر من كان ذا أسى ... يبيت على جمر ويضحى على جمر

تتابع أحداث يخفقن [5] صبره ... وغدر من الأيام والدهر ذو غدر

أضاف على رغم الأنوف وجدعها ... ذوى الدين [6] والدنيا بقاصمة الظهر

---

(١) فى الأصل: كيف. والمثبت أوفق بالمعنى.
(٢) فى ب: سهيلى بن العامرى. وفى جـ: سهيل بن العامر.
(٣) فى ب، جـ: بحر.
(٤) فى ب، جـ: النصر.
(٥) فى الأصل: يخفض. وفى ب: تحققن
(٦) فى ب، جـ: المدن.

---

1 الخطط (١/ ٣٢٦).
2 هو أبو الخطاب، عمر بن الحسن بن على بن محمد بن دحية الكلبى، أديب ومؤرخ، من أهل بلنسية بالأندلس، رحل إلى بلاد المشرق واستقر بمصر. توفى سنة ٦٣٣ هـ.
3 الوقيذ: الشديد المرض المشرف على الموت.

طوى زينة الدنيا ومصباح إلفها[1] بفقد بنى طولون والأنجم الزهر
وفقد بنى طولون فى كل موطن أضر على الإسلام فقدا من القطر
فبادوا[2] وأضحوا بعد عز ومنعة أحاديث لا تخفى على كل ذى حجر
وكان أبو العباس أحمد ماجدا جميل المحيا لا يبيت على وتر
كأن ليالى الدهر كانت لحسنها وإشراقها فى عصره ليلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة محلقة بين المساكين والقفر
فإن كنت تبغى (شاهدا ذا)[3] عدالة يخبر عنه بالجلى من الأمر
فبالجبل الغربى خطة يشكر له مسجد يغنى [4] عن المنطق الهذر1
يدل ذوى الألباب أن بناءه وبانيه لا بالغبى [5] ولا الغمر
بناه بآجر وساج وعرعر وبالمرمر المسنون والجص والصخر
بعيد مدى الأقطار سام بناؤه وثيق المبانى من عقود ومن جدر
فسيح الرحاب[6] يحسر الطرف دونه رقيق نسيم طيب العرف والنشر
وتنور فرعون الذى فوق قلة على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه ويهدى به (فى الليل إن ضل من يسرى) [7]
تخال سنا قنديله وضياءه سهيلا2 إذا ما لاح فى الليل للسفر

---

(١) فى ب، جـ: أهلها.
(٢) فى ب، جـ: فنادوا.
(٣) فى ب، جـ: شاهدان.
(٤) هذه اللفظة ليست فى الأصل.
(٥) فى ب: بالفتى. وفى جـ: بالغنى.
(٦) فى الأصل: رحاب.
(٧) فى الأصل: فى الليل من ضل أن يسرى. وفى جـ: من ضل فى الليل من يسرى.

---

1 الهذر: سقط الكلام.
2 سهيل: نجم يقتدى به المسافر فى طريقه.

وعين معين الشرب عين زكية وعين أجاج للرواة وللظهر

كأن وقود النيل فى جنباتها تروح وتغدو بين مد إلى جزر[1]

فأرجاؤها مستنبظ لمعينها[2] من الأرض من بطن عميق إلى ظهر

بناء لو ان الجن جاءوا بمثله لقيل لقد جاءت بمستقطع نكر

يمر على أرض المغافر كلها وسفيان والأحمور والحى من يسر[3]

قبائل لا نوء السحاب يمدها ولا النيل يرويها ولا جدول يجرى

ولا تنس مارستانه واتساعه[4] وتوسعة الأرزاق للحول والشهر

وما فيه من قوامة وكفاية ورفقهم بالمعتفين ذوى الفقر

فللميت المقبور حسن[5] جهازه وللحى رفق[6] فى علاج وفى جبر

وإن جئت رأس الجسر فانظر تأملا إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر

تجد أثرا لم يبق من يستطيعه من الناس فى بدو البلاد ولا حضر

(مآثر لا تبلى وإن باد أهلها ومجد يؤدى وارثيه إلى الفخر)[7]

لقد ضمن القبر المقدر[8] ذرعه أجل إذا ما قيس من قبتى حجر

وقام أبو الجيش ابنه بعد موته كما قام ليث الغاب فى الأسل1 السمر

---

(١) فى الأصل: زجر.

(٢) فى ب، جـ: لحسنها.

(٣) فى الأصل: بسر.

(٤) فى الأصل: وارتفاعه.

(٥) فى الأصل: حصن.

(٦) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٧) هذا البيت ليس فى ب، جـ.

(٨) فى الأصل: المضمن.

---

1 الأسل: نبات ذو أغصان كثيرة شائكة الأطراف.

أتته المنايا وهو فى أمن داره ... فأصبح مسلوبا من النهى والأمر
كذاك الليالى من أعارته بهجة ... فيا لك من ناب حديد ومن ظفر
وورث هارون ابنه تاج ملكه ... كذاك أبو الأشبال ذو الناب والهصر1
وقد كان جيش قبله فى محله ... ولكن جيشا كان مستقصر العمر
فقام بأمر الملك هارون مدة [1] ... على كظظ2 من ضيق باع ومن حصر
وما زال حتى زال والدهر كاشح ... عقاربه من كل ناحية تسرى
تذكرتهم لما مضوا فتتابعوا ... كما ارفض سلك من جمان ومن شذر
فمن يبك شيئا ضاع من بعد أهله ... لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون إذ باد عصرهم ... فبورك من دهر وبورك من عصر

*** ذكر ما بنى بالروضة من المتنزهات:**

«ذكر المختار»:

قال المقريزى 3: نقل الإخشيد الصناعة من الجزيرة إلى ساحل مصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وبنى مكانها البستان المختار، وصرف على بنائه خمسة آلاف دينار، واتخذه متنزها له، وصار يفاخر به أهل العراق، ولم يزل متنزها إلى أن زالت الدولة الإخشيدية والكافورية، وقدمت الدولة العبيدية، فكان يتنزه فيه المعز والعزيز، وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس، بها وال وقاض، وكان يقال: القاهرة، ومصر، والجزيرة.

وقال على بن سعيد فى المغرب: للمختار هذا ذكر فى شعر تميم بن المعز وغيره.

---

(١) فى ب، جـ: بعده.

---

1 الهصر: الافتراس.
2 الكظظ: الهم.
3 الخطط (٢/ ١٨١).

*** ذكر الروضة التى سميت بها الجزيرة:**

قال المقريزى 1: لما استولى الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى أنشأ فى بحرى الجزيرة مكانا نزها سماه (الروضة)، وتردد إليه ترددات كثيرة، ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة.

وقال ابن ميسر [1] فى (تاريخ مصر): أنشأ الأفضل الروضة بحرى الجزيرة، وكان يمضى كل يوم إليها فى العشاريات الموكبية إلى أن قتل، وكان قتله فى سنة خمس عشرة وخمسمائة.

*** ذكر الهودج:**

قال ابن ميسر [1]: لما استبد الخليفة الآمر بأحكام الله بالأمر، أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكانا لمحبوبته البدوية عرف بالهودج، وذلك لما صعب عليها السكنى فى القصور، ومفارقة ما اعتادته من الفضاء، وكان الهودج على شاطئ النيل فى شكل غريب، ولم يزل الآمر يتردد إليه للتنزه فيه إلى أن ركب إليه [2] يوما، فلما كان برأس الجسر وثب إليه قوم كانوا قد كمنوا له بالروضة، فضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه، وذلك يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة، ونهب سوق الجزيرة ذلك اليوم.

وقال المقريزى 2: كان من متنزهات الخلفاء الفاطمية العجيبة البناء، البديعة الزى، بناء فى جزيرة الفسطاط - التى تعرف اليوم بالروضة - يقال له الهودج، بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية - التى غلب عليه حبها - بجوار البستان المعروف بالمختار، وكان يتردد إليه كثيرا، وقتل وهو متوجه إليه، وما زال متنزها للخلفاء من بعده.

---

(١) فى جـ: ميسرة.

(٢) فى ب، جـ: فيه.

---

1 الخطط (٢/ ١٨١).

2 الخطط (١/ ٤٨٥).

قال ابن سعيد فى كتاب الحلى [1]: قال القرطبى فى تاريخه: قد أكثر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها، وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر، حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك، والاختصار منه أن يقال: إن الآمر كان قد بلى بحب الجوارى العربيات، وصارت له عيون فى البوادى، فبلغه أن جاء الصعيد جارية من أكمل العرب وأظرفهم، شاعرة جميلة، فيقال إنه تزيا بزى بداة الأعراب، وكان يجول فى الأحياء إلى أن انتهى إلى حيها، وبات هناك، وتحيل حتى عاينها، فلما ملك بصره، ورجع إلى قصر ملكه، وأرسل إلى أهلها فخطبها وتزوجها، فلما وصلت إليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت، وأحبت أن يسرح طرفها إلى الفضاء، ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة، فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط، المعروف بالهودج، وكان غريب الشكل على شط النيل، وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه، يعرف بابن مياح، فكتبت إليه:

يا ابن مياح[2] إليك المشتكى ... ما لكم من بعدكم قد ملكا

كنت فى حى طليقا آمرا ... نائلا[3] ما شئت منكم مدركا

فأنا الآن بقصر مرصد ... لا أرى إلا خبيثا ممسكا

كم تثنينا بأغصان اللوى ... حيث لا نخشى علينا دركا

وتلاعبنا برملات الحمى ... حيثما شاء طليق سلكا

فأجابها:

بنت عمى والتى غذيتها ... بالهوى حتى علا واحتنكا

---

(١) فى الأصل، ب، جـ: المحلى. وهو كتاب: المغرب فى حلى المغرب.

(٢) فى ب، جـ: عم.

(٣) فى ب، جـ: نافلا.

بحت بالشكوى وعندى[1] ضعفها لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الأمر إليه يشتكى مالك وهو الذى قد ملكا

قال: وللناس فى طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول، وكان فى عصر الآمر من عرب طيئ طراد بن مهلهل. فلما بلغته هذه القصة قال:

ألا أبلغوا الآمر المصطفي مقال طراد ونعم المقال[2]
قطعت الأليفين عن إلفة بها سمر الحى حول الرجال
كذا كان آباؤك الأكرمون؟! سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الآمر الخليفة لما بلغته الأبيات: جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله.

وطلب فى أحياء العرب فلم يوجد. فقالت العرب: ما أخسر صفقة طراد، باع عدة أبيات [3] بثلاثة أبيات. وكان بالإسكندرية قاضيها مكين الدولة [4]، أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد، ذو ثروة عظيمة، ويحتذى أفعال البرامكة، وللشعراء فيه أمداح كثيرة، كظافر الحداد، وأمية الأندلسى، وغيرهما، وكان له بستان يتنـزه فيه، به جرن كبير من رخام قدر البركة، وهو قطعة واحدة ينحدر فيه الماء، وكان يلذ برؤيته. فوشى به إلى البدوية محبوبة الآمر، فسألت الآمر فى حمل الجرن إليها، فأرسل إلى ابن حديد بإحضاره، فلم يجد بدا من إجابته، فلما صار إلى الآمر أمر [5] بعمله فى الهودج، فقلق ابن حديد من ذلك، فأخذ يخدم البدوية وجميع من يلوذ بها بأنواع الهدايا الخارجة عن الحد فى الكثرة، حتى قالت: هذا الرجل أخجلنا من كثرة تـحفه، لعل [6] له حاجة عند الخليفة، فلما بلغه قولها

(١) فى ب، جـ: عند.
(٢) فى جـ: المال.
(٣) أى: أبيات الحى الذى كان يسكنه ويعيش فيه.
(٤) فى ب، جـ: الدين.
(٥) هذه اللفظة ليست فى الأصل.
(٦) فى ب، جـ: أما.

قال: ما لى حاجة غير رد الجرن. فعجبت [1] من ذلك وردته، فعوتب فى ذلك، وقيل له: تحصلت فى حد أن خيرتك البدوية فى جميع المطالب، فنزلت همتك إلى قطعة حجر. فقال: أنا [2] أعرف بنفسى، ما كان لنفسى أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الجرن من مكانه، وقد بلغ الله نفسى أملها.

قال المقريزى 1: وما زال الآمر يتردد إلى الهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد الهودج، وقد كمن له قوم فى فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة، فوثبوا عليه وأثخنوه [3] بالجراحة، فحمل فى العشارى إلى اللؤلؤة 2، فمات بها. وقيل: مات قبل أن يصل إليها.

قال: وقد خرب هذا الهودج، وجهل مكانه من الروضة.

*** ذكر المشتهى:**

قال المقريزى 3: كان من مواضع الخلفاء الفاطميين التى أعدت للنزهة المشتهى بالروضة، وكانوا يركبون إليه يوم السبت والثلاثاء، فيعم الناس من الصدقات أنواع (ما بين) [4] ذهب ومأكل وحلوى وغير ذلك.

وقال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض 4 يذكر المشتهى (وكان يتردد إليه كثيرا) [5]:

---

(١) فى ب، جـ: فتعجبت عند الخليفة.
(٢) فى الأصل: إذا.
(٣) فى الأصل: واتخذوه.
(٤) ليست فى الأصل.
(٥) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

---

1 الخطط (١/ ٤٨٦).
2 اللؤلؤة: إحدى المناظر الفاطمية التى تطل على الشاطئ الشرقى للخليج بالقرب من باب القنطرة.
3 الخطط (١/ ٤٩٠).
4 هو أبو حفص شرف الدين عمر بن أبى الحسن على بن مرشد بن على، المعروف بابن الفارض، الحموى الأصل، المصرى المولد والدار والوفاة، من كبار شعراء الصوفية، أخذ الحديث عن الحافظ ابن عساكر، وعنه الحافظ المنذرى، له ديوان شعر. توفى سنة ٦٣٢ هـ.

جلق1 جنة من تاه وباهى بربا‌ها غيرها[1] لولا وباها

قال غال بردى كوثرها قلت غال برداها برداها

وطنى مصر وفيها وطرى ولنفسى مشتهاها مشتهاها

ولعينى[2] غيرها إن سكنت يا خليلى سلاها ما سلاها

وقال تقى الدين السروجى 2 فى تفضيل المشتهى على السبع 3 وجوه، أورده الصلاح الصفدى فى تذكرته:

أرى المشتهى فى روضة الحسن قد بدا على رصد المعشوق4 فالقلب واحد

لعمرك ما السبع الوجوه إذا بدت بمغنية عن وجهه وهو واحد

وقال آخر:

يا ليلة عاش سرورى بها ومات[3] من يحسدنا بالكمد

وبت بالمعشوق فى المشتهى وبات من يرقبنا بالرصد

ولله در العلامة شمس الدين بن الصايغ الحنفى 5 النحوى الأديب، حيث يقول موجها:

---

(١) فى الأصل: غير.

(٢) فى ب، جـ: ولغيرى.

(٣) فى ب، جـ: وبات.

---

1 جلق: اسم دمشق.

2 هو تقى الدين عبد الله بن على بن منجد السروجى، شاعر، فيه فضل وأدب، ولد فى سروج، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٩٣ هـ.

3 السبع وجوه: اسم قصر يعد إحدى المناظر فى العصر الفاطمى.

4 رصد المعشوق: الرصد: مكان عال كان يطل على البستان المعروف بالمعشوق.

5 هو محمد بن عبد الرحمن بن على بن أبى الحسن، شمس الدين بن الصائغ الحنفى النحوى، ولد قبل سنة ٧١٠ هـ، وبرع فى اللغة والنحو والفقه، وأخذ عن ابن المرحل وأبى حيان، وولى قضاء العسكر وإفتاء دار العدل بمصر، ودرس بالجامع الطولونى وغيره، وله مؤلفات فى العلوم القرآنية والحديث والنحو. توفى فى خامس عشر شعبان سنة ٧٧٦ هـ.

يا ليلة مرت بنا حلوة إن رمت تشبيها لها عبتها
لا يبلغ الواصف فى وصفها حدا ولا يلقى لها منتهى
وبت بالمعشوق فى روضة ونلت من خرطومه المشتهى

وقال عمر بن الفارض موجها أيضا:

لقد بسطت فى بحر جسمك بسطة أشارت إليها بالوفاء أصابع
فيا مشتهاها أنت مقياس قدسها وأنت بها فى روضة الحسن يانع[1]

وقال القيراطى 1:

رشق الصب بالسهام رشيق مشتهى حسنه هو المعشوق
هو فى مصر روضة ومحياه[2] وسيم يصبو إليه المشوق

وقال أيضا:

زربية2 أضحى بها المنتهى وحسنها المعشوق والمشتهى
وهى لمن يدخلها روضة وجنة فيها الذى يشتهى

وقال أيضا [3]:

أقسمت ما لك فى الملاحة مشبها فدع العذول يقول عنى ما اشتهى

---

(١) فى ب: رابع. وفى جـ: رائع.
(٢) فى الأصل: ومحيا.
(٣) فى ب، جـ: بعضهم.

---

1 هو برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين عبد الله بن محمد القيراطى، فاق فى النظم والنثر، وبرع فى فنون عدة، له ديوان شعر، وتوفى بمكة سنة ٧٨١ هـ.

2 الزربية: خطة كانت على النيل، وأطلق عليها زربية قوصون فى العصر المملوكى؛ لإنشائه العمائر بها.

لو لم تكن فى مصر روضة ناظرى ما كان ذاك الوجه عندى المشتهى

وقال الصلاح الصفدى مجيبا:

وقفت على نظمك المشتهى وعاينت روضته اليانعه

فكم ألف مثل غصن النقا وهمزتها فوقها ساجعه

وقال أيضا مضمنا:

قل للرقيب يسترح من رصدى ما أصبح المعشوق عندى مشتهى

وارتد قلبى عن سيوف جفنه وكل شىء بلغ الحد انتهى

وقال القاضى صدر الدين سليمان بن عبد الحق الحنفى 1، أورده الصلاح الصفدى فى تذكرته، والحافظ ابن حجر (فى الدرر الكامنة) [1]:

بذا شعر الخد الذى كان مشتهى فأخفى عن المعشوق حالى وما يخفي

لقد كانت الأرداف بالأمس روضة من الورد[2] وهى الآن موردة الحلفا2

كذا أورده وزينه فى بعض المجاميع بلفظ: وقد كانت الوجنات، وهو أمس بالبيت الذى قبله.

وقال الجمال بن نباتة 3:

يا مذكرى بندى يديه وبابه شهوات مصر لنا وطيب حماها

---

(١) ليست فى ب، جـ.

(٢) فى الأصل: الأرض.

---

1 هو سليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق، صدر الدين بن عبد الحق، ولد سنة ٦٩٧ هـ، وقرأ القرآن على الشيخ مبشر الضرير، وسمع الحديث على الحجار، ودخل بغداد واليمن ثم دمشق ثم مصر، وتولى فيها توقيع الدست، وكان ناظما بليغا فى التوشيح والزجل والمواليا.

2 موردة الحلفا: منطقة كانت مواجهة للروضة.

3 هو أبو بكر، جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى، المعروف بابن نباتة المصرى، حامل لواء الشعر والنثر فى عصر المماليك، له ديوان شعر مطبوع. توفى سنة ٧٦٨ هـ.

إن يحل عندى "مشتهى" أبوابه فلقد حلا من سكر هو ماؤها

وقال أيضا:

شكرا لها يا سيدى من نعمة بلغت من التأميل فوق المنتهى
لا زال مدحك كل سطر روضة تعزى لمصر وكل بيت مشتهى

وقال الصاحب فخر الدين بن مكانس 1:

وجنات المعشوق يا روضة الحـ ـسن ويا مشتهى الكئيب العانى
إن دمعى ماء السما وبقلبى حرقة يا شقائق النعمان

وقال آخر مطلع قصيدة:

يا مقلتى إن شئت أن تتنزهى فى حسنه عما سواه تنزهى
هذا وروضة وجهه (لك مشتهى)[1] فالعذر لم يقبل إذا لم تشتهى

وقال شمس الدين النواجى:

مها مرمى وجهه روضة وخده المعشوق لى مشتهى
يا طرفه الساجى وألحاظه لله ما أحلى عيون المها

وقال صاحبنا الشهاب المنصورى أول قصيدة يمدح بها النبى ﷺ:

شيخ اشتياق له بالباب تطفيل ودمعه سائل عنكم ومسئول[2]

---

(١) فى ب، جـ: للمشتهى.
(٢) فى ب: منقول. وفى جـ: مقبول.

---

1 هو أبو الفرج فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق، المعروف بابن مكانس، وزير دمشق وناظر الدولة بمصر، شاعر مشهور، له ديوان إنشاء، توفى سنة ٨٦٤ هـ.

والقلب مصركم والحسن روضته وأنتم المشتهى والمدمع النيل

وقال أيضا:

أسفر وجها ورنا مقلة يا خجلة البدر وظبى الصريم
فى مشتهى وجنته روضة تزهو بوجه قمرى وسيم

وقال أيضا:

يا سيدا ألفاظه جواهر مجلوبة بفكره الغطاس
وروضة تخصنا بالمشتهى من بحرها الجارى بلا مقياس
أكرم بها من روضة وجزيرة لكيسها يا ضيعة الأكياس

وقال أيضا:

ملأ العيون ملاحة وصباحه بدر سبى[1] بدر الدجى وصباحه
السكر من خرطومه لى مشتهى (من روضة فى خده) [2] فياحه

وقال أيضا مطلع قصيدة:

أقاضى بدر الدين يا طيب الغرس ويا روضة فى حسنها مشتهى النفس[3]

*** ذكر استيلاء العبيد على الروضة:**

ذكر المؤرخون أن فى سنة ست وخمسين وأربعمائة وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك، واقتتلوا، وغلب العبيد على الجزيرة التى فى وسط النيل بين مصر والجيزة، واتصلت الحرب بين الفريقين.

---

(١) فى ب، جـ: سنا.
(٢) فى ب، جـ: فى روضة من خده.
(٣) فى الأصل: نفسى.

*** ذكر شراء الروضة من بيت المال ووقفها على المدرسة التقوية :**

قال المقريزى فى الخطط 1: اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى، منازل العز، وجعلها مدرسة الفقهاء الشافعية، واشترى الروضة، وجعلها وقفا على المدرسة المذكورة.

وقال ابن المتوج فى كتاب (إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل): اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر - المشهورة بالروضة - من عامل [1] بيت المال المعمور فى شعبان سنة ست وستين وخمسمائة، وبقيت على ملكه إلى أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان إلى مصر، ومعه عمه الملك العادل، وكتب إلى الملك المظفر(أن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه إلى الشام، فتحقق الملك المظفر) [2] أنه لا عود له إلى الديار المصرية أبدا، فوقف مدرسته التى تعرف فى مصر بالمدرسة التقوية - وكانت تعرف قديما بمنازل العز - على فقهاء الشافعية، ووقف عليها جزيرة الروضة بكمالها، ووقف أيضا مدرسته بالفيوم، وسافر إلى عمه السلطان صلاح الدين، إلى دمشق، فملكه حماه، ولم يزل الحال كذلك إلى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبى محمد عبد العزيز ابن قاضى القضاة عماد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن السكرى، مدرس المدرسة المذكورة - لمدة ستين سنة فى دفعتين، كل دفعة قطعة، فالقطعة [3] الأولى من جامع غبن إلى المناظر طولا، وعرضا من البحر إلى البحر، واستأجر القطعة الثانية، وهى باقى أرض الجزيرة الدائر عليها بحر النيل حين ذاك، واستولى على ما كان بالجزيرة من النخل والجميز والغروس بيد الجور. فإنه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخل

---

(١) ليست فى ب، جـ.

(٢) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

(٣) فى الأصل: فالقعدة.

---

1 (٢/ ١٨٤).

ودخلت فى العمائر، وأما الجميز فإنه كان بشاطئ النيل صف جميز يزيد على أربعين شجرة، وكان أهل مصر فرجهم تحتها فى زمن النيل والربيع، قطعت جميعها فى الدولة الظاهرية، وعمر بها شوانى عوض الشوانى التى كان سيرها إلى جزائر قبرص وتكسرت هناك. واستمر تدريس المدرسة التقوية بيد القاضى فخر الدين إلى حين وفاته، ثم وليها بعده ولده القاضى عماد الدين أبو الحسن على، وفى أيامه سلم له القطعة المستأجرة من الجزيرة أولا، وبقى بيد السلطنة القطعة الثانية إلى الآن، وكان الإفراج عنها فى شهور سنة ثمان وتسعين وستمائة فى الدولة الناصرية، ولم يزل القاضى عماد الدين مدرسها إلى حين وفاته، فوليها ولده، وهو مدرسها إلى الآن، فى شعبان سنة أربع عشرة وسبعمائة. هذا كله كلام ابن المتوج.

قلت: استمرار [1] القطعة الثانية بيد السلطنة أدى بعد ابن المتوج وتطاول عصره إلى ضرر عظيم، بحيث خرجت عن وقف المدرسة بالكلية؛ للجهل بالحال، وتطاول الزمان واندراس شرط الواقف، وضياع كتاب الوقف، وفقد من له اطلاع واسع. وكانت القطع المذكورة أولا بيد السلطنة بإجازة صحيحة، ثم صارت بيدهم على جهة وضع اليد المنسحبة على إجازة، كما تؤخذ الأوقاف الآن لجهة الذخيرة، ويدفع من مال الذخيرة للمستحقين عوضا عن أجرتها، (ثم لما تطاول الزمان فكأنه نسى ذلك، فظنت من أراضى بيت المال) [2]، فوقفت على الجامع الصلاحى المعروف بجامع ابن المغربى على شاطئ الخليج الناصرى بقرب باب اللوق، واستمرت جارية فى وقفه إلى الآن، تؤخذ أجرتها وحكرها له، وهو مبنى على غير أصل. ثم حدث فى هذه الأيام ما هو أسوأ من ذلك، وهو أن القاضى علاء الدين بن أقبرس [3] أنهى فى قطعة تسمى الميدان من القطعة الأولى التى من جامع غبن إلى [4] المناظر، وهى مستمرة بيد نظار التقوية من أول الأمر إلى الآن: أنها جارية فى أراضى

---

(١) فى الأصل: استمر له.

(٢) ما بين القوسين ليس فى جـ.

(٣) فى ب، جـ: قبرس.

(٤) ليست فى ب، جـ.

بيت المال، فاشتراها الملك الظاهر جقمق من وكيل بيت المال، ووقفها على ابن أقبرس[1] وذريته.

وثبت هذا الوقف على قاضى الحنفية سعد الدين بن الديرى، ونفذه قاضى القضاة فى عصره، فتحرك[2] ولده فى هذه السنة - وهى سنة خمس وتسعين وثمانمائة - إلى طلب ذلك، ونزع هذه القطعة من أيدى نظار التقوية، واستفتى أهل العصر فأفتوه، وأراد منى الكتابة فاعتذرت إليه بترك الإفتاء من مدة، وقلت لمن كان حاضرا عندى: لو أفتيته ضريته، وأوضحت لهم القضية[3] مفصلة، ثم إنه رفع الأمر إلى سلطان العصر 1، وأمر بعقد مجلس لذلك فى الروضة، فحضر قضاة القضاة ومن معهم. ثم قدر الله أنه لم يتم له شىء مما أراد، واستمرت فى وقف التقوية.

ثم رأيت بعد ذلك فى تاريخ المقريزى المسمى بـ (السلوك بمعرفة دول الملوك):

كانت أراضى الروضة تجاه مدينة مصر رزقا أحباسية بيد أولاد الملوك، ويستأجرها منهم الدواوين، وأنشأوا بها سواقى ونحوها، ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان. فقرر النشو ناظر الخاص مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أخذ أراضى الروضة للخاص[4]، وأن يقاس ما بيع منها ويؤخذ ممن هو فى يده تفاوت قيمتها. فوافقه السلطان على ذلك، وندب جماعة لقياس الروضة جميعها: مزدرعها وأراضى دورها، وألزم من هى فى يده بتفاوت قيمتها، فقومت يوم شرائها، واستخرج منهم القدر الزائد على ما كانوا أعطوه حالة الشراء، وفرغ من ذلك فى سنة أربعين وسبعمائة، ثم أخذ يعمل بمثل ذلك فى سائر الرزق الأحباسية،

---

(١) فى ب، جـ: قبرس.

(٢) فى ب، جـ: فتجون.

(٣) فى الأصل: القصة.

(٤) هذه اللفظة ليست فى ب، جـ.

---

1 أى: السلطان قايتباى.

فضجت الناس وكتبوا للسلطان أوراقا ورموها من غير أن يعرف رافعها، منها رقعة فيها:

أمعنت فى الظلم وأكثرته ... وزدت بالنشو[1] على العالم
ترى من الظالم فيكم لنا ... فلعنة الله على الظالم

ووجد أخرى فيها:

يا ملكا أصبح فى نشأة ... من نشوة الظالم فى نشه
أنشيته فلتنشئن ضغائنا ... سترى غباوتها بصحة غشه
حكمته حكمت[2] أمرا فاسدا ... وتوحشت كل القلوب بفحشه
سترى بوارقها إذا ما أظلمت ... وتحكمت[3] أيدى الزمان لبطشه
واشتد منه ندامة كسعية1 ... يوما إذا ذبح الخروف بكبشه

فتغير خاطر السلطان على النشو، وقبض عليه وعلى أخيه من فوره، وقام صلاح الدين يوسف بن المغربى الحكيم، فادعى على أولاد الملوك [4] بمبلغ عشرة آلاف درهم تعجلوها منه عن أرض الروضة، وكان النشو قد أخذها منهم، وأدخلها فى ديوان الخاص، فألزموا بالقدر حتى أدوه لابن المغربى، والله أعلم بالصواب.

---

(١) فى الأصل: يا نشو.
(٢) فى ب، جـ: حكمة.
(٣) فى الأصل: وتوحشت. وكتب بهامشه: صوابه: وتحكمت.
(٤) فى الأصل: المملوك.

---

1 كسعية: نسبة إلى الكسعى الذى يضرب به المثل فى الندامة، وهو رجل رام من قيس عيلان من اليمن، رمى بعدما أظله الليل عيرا فأصابه، وظن أنه أخطأه، فكسر قوسه وقطع إبهامه، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه، ثم أنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسى ... تطاوعنى إذا لبترت خمسى
تبين لى سفاه الرأى منى ... لعمر الله حين كسرت قوسى

وصار اسمه مثلا يضرب لكل نادم على فعل يفعله.

*** ذكر القلعة التى بناها الصالح بالروضة:**

قال المقريزى 1: ولم تزل الروضة متنزها ملوكيا ومسكنا للناس إلى أن تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل [1]، وأنشأ بالروضة قلعة واتخذها سرير ملكه، فعرفت بقلعة المقياس، وبقلعة الروضة، وبالقلعة الصالحية. وكان الشروع فى حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وابتدئ ببنائها فى آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشرة، وفى عاشر ذى القعدة وقع الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى كانت بجزيرة الروضة، وتحول الناس من مساكنهم التى كانت بها.

وهدمت كنيسة كانت لليعاقبة 2 بجانب المقياس، وأدخلها فى القلعة، وأنفق فى عمارتها أموالا جمة من غنيمة غنمها من الفرنج، وبنى فيها الدور والقصور، وعمل لها ستين برجا، وبنى فيها جامعا، وغرس بها جميع الأشجار، ونقل إليها من العمد الصوان والعمد الرخام، وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والأقوات خشية من محاصرة الفرنج، فإنهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر، وبالغ فى إتقانها مبالغة عظيمة، حتى قيل: إنه استقام كل حجر فيها بدينار، وكل طوبة بدرهم. وكان الملك الصالح يقف بنفسه، ويرتب ما يعمل.

فصارت تدهش من كثرة زخارفها، ويحير الناظر إليها حسن سقوفها المقرنصة وبديع رخامها، ولما كملت تحول إليها بأهله وحرمه، واتخذها دار ملك، وأسكن معه فيها مماليكه البحرية وعدتهم نحو ألف، ويقال: إنه قطع من الموضع [2] الذى أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة، كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره

---

(١) فى ب، جـ: العادل.

(٢) فى الأصل: الموضوع. وهو تصحيف

---

1 الخطط (٢/ ١٨٣).

2 اليعاقبة: أحد المذاهب المسيحية الغالبة التى كانت بمصر.

وطيب طعمه، وخرب البستان المختار والهودج، وهدم ثلاثة وثلاثين مسجدا كانت بالروضة، وأدخلت فى القلعة، واتفق له فى بعض هذه المساجد خبر عجيب.

قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليغمورى: سمعت الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك يقول: من عجيب ما شاهدته من الملك الصالح أنه أمرنى أن أهدم مسجدا بجزيرة مصر، فأخرت ذلك وكرهت أن يكون هدمه [على يدى. فأعاد الأمر وأنا (أكاسرعنه) [1]، فكأنه فهم ذلك على، فاستدعى بعض خدمه] [2] وأنا غائب، وأمره أن يهدم ذلك المسجد، وأن يبنى فى مكانه قاعة، وقدر له صفتها، فهدم ذلك المسجد، وعمر تلك القاعة مكانه فكملت، وقدم الفرنج على الديار المصرية، وخرج الملك الصالح مع عساكره إليهم، ولم يدخل تلك القاعة التى بنيت فى مكان المسجد، وتوفى السلطان بالمنصورة، وجعل فى مركب وأتى به إلى الروضة، فجعل فى تلك القاعة التى بنيت مكان المسجد مدة إلى أن بنيت له التربة التى فى جنب مدارسه بالقاهرة.

قال المقريزى 1: ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب، فلما ملك السلطان الملك المعز أيبك التركمانى - أول ملوك الترك بمصر - أمر بهدمها، وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية فى رحبة الحناء بمدينة مصر، وطمع فى القلعة من له جاه، فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك وغير ذلك من أخشابها ورخامها. فلما صارت مملكة مصر للسلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى اهتم بعمارة قلعة الروضة، ورسم للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى إعادتها كما كانت، فأصلح بعض ما هدم منها ورتب بها الجاندارية [3]، وأعادها إلى ما كانت عليه من الخدمة. وأمر بأبراجها ففرقت على الأمراء، وأعطى برج الزاوية للأمير سيف الدين

---

(١) فى جـ: أكاتبه عليه.

(٢) ما بين المعقوفتين ليس فى ب.

(٣) فى ب، جـ: الجارندارية.

---

1 الخطط (٢/ ١٨٤).

قلاوون الألفى، والبرج الذى يليه للأمير عز الدين الحلى، والبرج الثالث من برج الزاوية للأمير عز الدين أرغان، وأعطى برج الزاوية الغربى للأمير بدر الدين الشمسى، وفرقت بقية الأبراج على سائر الأمراء، ورسم أن يكون بيوتات جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها، وسلم المفاتيح لهم. فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون، وشرع فى بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية، نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج إليه من العمد الصوان والعمد الرخام التى كانت قبل عمارة القلعة بالبرابى، وأخذ منها رخاما كثيرا وأعتابا جليلة [1] مما كان فى البرابى وغير ذلك، ثم أخذ منها الملك الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه من العمد الصوان فى بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل، وفى الجامع الجديد الناصرى بمدرسة الخلفاء، وأخذ غير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن.

قال المقريزى 1: وتأخر منها عقد جليل تسميه العامة القوس، كان مما يلى جانبها الغربى، أدركناه باقيا إلى نحو سنة عشرين وثمانمائة، وبقى من أبراجها عدة قد انقلب كثير منها، وبنى الناس [2] فوقها دورهم المطلة على النيل.

قال: وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها متنزها، يشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام فيها الجمعات والأعياد ومساجد. انتهى.

وقال ابن سعيد فى كتاب (الكمائم): النيل بساحل مصر ضيق؛ لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء، ومالت إلى جهة الفسطاط، وبجنبى سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل.

وقد ذكر ابن حوقل 2: الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط إلى الجزيرة، وهو

---

(١) فى الأصل: كثيرا.

(٢) فى الأصل: العباس.

---

1 الخطط (٢/ ١٨٤).

2 هو أبو القاسم، محمد بن حوقل البغدادى الموصلى، رحالة من علماء البلدان، كان تاجرا، رحل من بغداد سنة ٣٣١ هـ، ودخل المغرب وصقلية، وجاب بلاد الأندلس وغيرها، ويقال: كان عينا للفاطميين. توفى سنة ٣٦٧ هـ.

غير طويل، ومن الجانب الآخر إلى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة إليه، وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب؛ لأن هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان، ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان.

قال: وبتنا تلك الليلة فى طيارة 1 مرتفعة. [فقلت:

نزلنا من الفسطاط أحسن منزل ... بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة ... كسرب قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطفو الموج فيه ويرتمى ... ويطفر أحيانا ويلعب بالنرد
غدا ماؤه كالريق ممن أحبه ... فمدت عليه حلة من حلى[1] الخد
وقد كان مثل الزهر من قبل مده ... فأصبح لما زاده المد كالورد

وقال: قلت هذا لأنى لم أذق فى المياه أحلى من مائه، ولأنه يكون قبل المد – الذى يزيد به ويفيض على أقطاره – أبيض، فإذا كان عباب 2 النيل صار أحمر.

قال: وأنشدنى علم الدين فخر الترك أيدمر 3، عتيق وزير الجزيرة:

حبذا الفسطاط من والدة ... حببت أولادها در الجفا
يرد النيل إليها كدرا ... فإذا مازج أهليها صفا
لطفوا فالمزن لا تألفهم ... خجلا لما رآهم لطفا

وقال ابن سعيد أيضا فى كتاب (المغرب فى حلى المغرب): القاهرة أكثر عمارة

---

(١) فى جـ: حلل.

---

1 الطيارة: ضرب من السفن النيلية.

2 العباب: كثرة الماء والسيل.

3 هو أيدمر المعروف بعلم الدين المحيوى نسبة لمن أعتقه: محيى الدين محمد بن محمد بن ندى. اشتهر فى العصر الأيوبى، ولقب بالإمارة، وكان شاعرا، بقى من شعره مختار ديوانه. توفى سنة ٦٧٤ هـ.

واحتراما وحشمة [1] من الفسطاط، إلا أنه فى هذا الوقت لما اعتنى سلطان مصر الآن ببناء قلعة الجزيرة التى هى أمام الفسطاط، (وسيرها سرير السلطنة - عظمت عمارة الفسطاط) [2]، وانتقل إليها كثير من الأمراء، وضخمت أسواقها، وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة، يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبهه.

*** ذكر ما قيل فى هذه القلعة :**

قال الأديب علم الدين أيدمر التركى يصف هذه القلعة:

الروض مقتبل الشبيبة مونق خضل يكاد نضاره يتدفق

نثر الندى فيه لآلئ عقده فالزهر فيه متوج وممنطق

وارتاع من مر النسيم به ضحى فغدت كمائم زهره تتفتق[3]

وسرى شعاع الشمس فيه فالتقى منها ومنه سنا شموس تشرق

والغصن مياس القوام كأنه نشوان يصبح بالنسيم ويغبق1

والطير ينطق معربا عن شجوه فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق

فرد يغنى للغصون فتنثنى طربا جيوب الظل منه تشفق

والنهر لما راح وهو مسلسل لا يستطيع الرقص وهو يصفق

فتمل أيام الربيع فإنها ريحانة الزمن الذى يستنشق

---

(١) فى جـ: وحرمة.

(٢) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

(٣) فى جـ: تتعتق.

---

1 ويغبق: من الغبق، وهو الشرب آخر النهار.

إيه مديحى لا خطاك قصيرة يوم الرهان ولا مجالك ضيق

هذا مقام الملك حيث نقول ما نهوى وتطنب[1] كيف شئت فنصدق][2]

فى حيث لا شرف الصفات بمعوز فيه ولا باب المدائح مغلق

ملك يلوذ الدين منه بمعقل أشب سطاه سوره والخندق

*** ذكر الأوقات التى زينت فيها قلعة الروضة :**

قال المقريزى 1: فى سنة اثنتين وأربعين وستمائة: قدمت الإشارة إلى الملك الصالح أيوب بنصر عسكره على الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق، فأمر بزينة القاهرة ومصر وقلعتى الجبل والروضة، فبالغوا فى الزينة، وضربت البشائر عدة أيام.

وفى سنة أربع وأربعين وستمائة: وردت البشرى إلى الملك الصالح بهزمة الخوارزمية، وكانت مضرتهم عظمت ببلاد الشام، فزينت القاهرة ومصر والقلعتان.

وفى سنة خمس وأربعين: قدم الملك الصالح من دمشق إلى مصر، وكان حصل له فى عوده مرض فى حلقه أشرف منه على الموت، ثم عوفى ودخل إلى قلعته سالما، فزينت البلدان والقلعتان .

وفى سنة سبع وأربعين: أخذ الصالح الكرك، وسر بها سرورا عظيما، وأمر فزينت البلدان والقلعتان، وضربت البشارة بهما.

وفى سنة ثمان وأربعين: انتصر الملك المعز على الناصر صاحب دمشق، فزينت البلدان والقلعتان، وأقامت الزينة عدة أيام.

---

(١) زاد بعدها فى جـ: فيه.

(٢) ما بين المعقوفين من ص ١٣٢ إلى هنا ليس فى ب.

---

1 السلوك بمعرفة دول الملوك (١/ ٣١٧).

*** ذكر المماليك البحرية :**

قال المقريزى 1: الملك الصالح هو الذى أنشأ المماليك البحرية بديار مصر، وذلك أنه وقع له قبل ملكه مصر أن الأكراد وسائر عسكره تفرقوا عنه، ولم يثبت معه سوى مماليكه، فرعى لهم ذلك، فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك، وجعلهم معظم عسكره، وقبض على الأمراء، وأمر مماليكه فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه، وسماهم بالبحرية بسكناهم معه فى قلعة الروضة على بحر النيل، وكانت رأس المماليك البحرية يوم مات الصالح الفارس أقطاى.

*** ذكر مدة كون الملك الصالح بالروضة وهو ميت إلى أن نقل منها إلى مدفنه :**

قال المقريزى 2: توفى الملك الصالح بالمنصورة ليلة الإثنين نصف شعبان سنة سبع وأربعين، وحمل فى تابوت إلى قلعة الروضة، فأقام بها مدة إلى أن نقل إلى تربته بالقاهرة بجوار مدارسه الأربع، وكان نقله منها يوم الجمعة لأربع بقين من رجب سنة ثمان وأربعين، وخرج الناس إلى قلعة الروضة، وحملوه منها، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة وجميع العسكر قد لبسوا البياض، وقطع المماليك شعورهم، ودفن ليلا، وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر، وأقيم المأتم بالدفوف بين القصرين، وحضر الملكان الأشرف والمعز، ومعهما سائر المماليك البحرية والجمدارية والأمراء والقضاة والأعيان، وجعل عند قبره سناجقه وبقجه وقوسه وتركاشه، ورتبت القراء يقرؤون عند قبره.

*** ذكر أمر الملك المعز بإخلاء قلعة الروضة :**

قال المقريزى 3: فى سنة تسع وأربعين وستمائة أمر الملك المعز أيبك بإخلاء قلعة الروضة، فتحول من كان فيها من المماليك والحرسة وغيرهم.

---

1 السلوك (١/ ٣٣٩).

2 السلوك: الموضع نفسه.

3 السلوك (١/ ٣٨١).

* ذكر ركوب الخليفة المستنصر العباسى والسلطان الملك الصالح[1] بيبرس إلى قلعة الروضة:

فى سنة تسع وخمسين وستمائة قدم الأمير أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر بن الناصر لدين الله بن المستنصر بالله العباسى، مع جماعة من العرب، وكان قد فر من بغداد لما قتل هؤلاء الخليفة المستعصم بالله، ونزل عند عرب العراق، فخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس تاسع رجب إلى لقائه، ومعه الصاحب بهاء الدين بن حناء، وقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وسائر الأمراء، وجميع العسكر، وجمهور أعيان القاهرة ومصر، ومعظم الناس من الشهود والمؤذنين [2]، وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل، ودخل إلى القاهرة من باب النصر، وخرج الناس إلى رؤيته، وكان من أعظم أيام القاهرة، وصعد إلى قلعة الجبل وهو راكب، فأنزل فى مكان جليل قد هيئ بها، وبالغ السلطان فى إكرامه وإقامة ناموسه، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشرة حضر قاضى القضاة، ونواب الحكم، وعلماء البلد وفقهاؤها، وأكابر المشايخ، وأعيان الصوفية، والأمراء ومقدمو العساكر، والتجار ووجوه الناس، وحضر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، فمثلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد، وجلس السلطان متأدبا معه بلا طراحة ولا مسند، وشهد العربان وخادم من البغاددة [3] بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين، وشهد بالاستفاضة القاضى جمال الدين يحيى بن عبد المنعم، المعروف بالجمال يحيى، والقاضى صدر الدين موهوب الجزرى، وسديد الدين عمر بن عبد الكريم التزمنتى [4]، وعلم الدين محمد بن الحسين بن عيسى، ونجيب الدين الحرانى - أنه أحمد ابن الإمام الظاهر، فقبل قاضى القضاة تاج الدين سجادة القوم، وأسجل على نفسه بالثبوت، فلما تم الحكم والإسجال كان أول من بايعه القاضى

---

(١) كذا بالنسخ المخطوطة، وكتب بهامش الأصل: صحتها: الظاهر.

(٢) هذه اللفظة ليست بالأصل.

(٣) فى الأصل: البغادرة. وفى جـ: البغادة.

(٤) فى ب: الترمينى. والصواب ما أثبتناه نسبة إلى تزمنت القريبة من مدينة بنى سويف.

تاج الدين، ثم قام السلطان بعده وبايعه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله، وأخذ أموال الله بحقها وصرفها فى مستحقها، ثم بايعه بعد السلطان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الأمراء وكبار الدولة.

ولقب المستنصر بالله بلقب أخيه صاحب المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يلقب أحد بلقب أخيه سواه، ولا ولى عم بعد ابن أخيه الخلافة غيره. فلما تمت البيعة أقبل هو على السلطان وقلده البلاد، ثم كتب فى الوقت إلى الملوك والنواب بسائر الممالك أن يأخذوا البيعة على من قبلهم للخليفة المستنصر، وأن يدعى له على المنابر ثم يدعى للسطان بعده، وتنقش السكة باسمهما. فلما كان يوم الجمعة سابع عشرة خطب الخليفة فى جامع القلعة، ونثر عليه السلطان جملة من الذهب والفضة، ثم نزل فصلى بالناس. وفى يوم الأحد تاسع عشرة ركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل إلى مصر، وركبا فى الحراريق 1، وسارا فى النيل إلى قلعة الروضة، وجلسا فيها، وأحضرت الشوانى الحربية، فلعبت فى النيل على هيئة محاربتها العدو فى البحر، ثم ركبا إلى البر وسارا إلى قلعة الجبل وقد خرج الناس لمشاهدتهما، فكان من الأيام المشهودة.

*** ذكر الجسر الذى كان من بر الفسطاط إلى بر الروضة، ومن بر الروضة إلى بر الجيزة:**

قال المقريزى 2: كان النيل فى القديم محيطا بالروضة طول السنة، وكان فيما بين ساحل مصر والروضة جسر من خشب، وكذلك فيما بين الروضة والجيزة جسر من خشب، يمر عليهما الناس والدواب من مصر إلى الروضة، ومن الروضة إلى الجيزة، وكان هذان الجسران من مراكب مرصوصة [1] بعضها بحذاء بعض، وهى موثقة،

---

(١) فى ب، جـ: مصطفة.

---

1 الحراريق: جمع حراقة، وهى نوع من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر.
2 الخطط (٢/ ١٧٠).

ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب، وكان عرض [1] الجسر ثلاث قصبات، ولم يزل هذا الجسر قائما إلى أن قدم المأمون مصر، فأحدث جسرا جديدا، فاستمر الناس يمرون عليه، وكان عبور العساكر التى قدمت من المغرب مع جوهر القائد على هذين الجسرين، وكان الجسر المتصل بالروضة كرسيه حيث المدرسة الخروبية قبلى دار النحاس، وكان النيل عندما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة قد انطرد عن بر مصر، ولا يحيط بالروضة إلا فى أيام الزيادة، فلم تزل تغرق السفن فى بر الجيزة، ويحفر فيما بين الروضة ومصر وما كان هناك من الرمال - حتى عاد ماء النيل إلى بر مصر، واستمر هناك، فأنشأ جسرا عظيما ممتدا من بر مصر إلى الروضة، وجعل عرضه ثلاث قصبات، وكان كرسيه حيث المدرسة الخروبية [2] قبلى دار النحاس، وصار أكثر مرور الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب؛ لأن الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان، وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم (عند البر) [3]، ويمشون فى طول هذا الجسر إلى الروضة [4]، ولا يمكن أحد من العبور عليه (عند البر) [5] راكبا سوى السلطان فقط، وما برح الجسر قائما إلى أن أخرب الملك المعز أيبك قلعة الروضة بعد سنة ثمان وأربعين وستمائة، فأهمل، ثم عمره الظاهر بيبرس على المراكب، وعمله من ساحل مصر إلى الروضة، ومن الروضة إلى الجيزة، لأجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج، ثم بطل ذلك ولم يبق للجسر أثر بالكلية.

وقال القضاعى فى رسالته التى عملها فى عجائب مصر: لم يزل الجسر قائما إلى أن

---

(١) ليست فى جـ.

(٢) فى الأصل: الخروقية. والمدرسة الخروبية هى المدرسة التى أنشأها بدر الدين محمد بن محمد الخروبى التاجر بعد سنة ٧٥٠ هـ على ساحل مصر، قبلى خط دار النحاس.

(٣) هذه الزيادة مثبتة من ب، جـ.

(٤) فى الأصل: القلعة.

(٥) هذه الزيادة مثبتة من جـ.

قدم المأمون وكان غريبا، ثم أحدث المأمون هذا الجسر الباقى اليوم، تمر عليه المارة وترجع من الجسر القديم، وبعد أن خرج المأمون أتت ريح عاصف ليلا فقطعت الجسر الغربى، وهدمت بشقته الجسر المحدث، وذهبا جميعا، فتعطل الجسر القديم، وأثبت الجديد.

*** ذكر حفر بحر الروضة:**

قال المقريزى فى الخطط 1: أول ما حفر فى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وذلك أنه جف النيل عن بر مصر، حتى احتاج الناس إلى أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو بينها وبين الروضة، وصار الناس يمشون هم والدواب إلى الجيزة، فحفره كافور الإخشيدى، وهو يومئذ مدبر دولة أونوجور بن الإخشيد، ودخل الماء إلى ساحل مصر. ثم لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر، وصار الطريق إلى المقياس يبسا، واستمر ذلك فى كل سنة فى أيام الاحتراق.

فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف الملك الكامل محمد - ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب - من تباعد البحر عن العمران بمصر، فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة 2 بمصر إلى صناعة التمر الفاضلية 3، وعمل فيه بنفسه، فوافقه على ذلك الجم الغفير، واستوى فى المساعدة السوقة والأمراء، وقسط مكان الحفر على الدور التى بالقاهرة ومصر والروضة بالقياس، واستمر العمل فيه من مستهل شعبان إلى سلخ شوال، حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائما، بعدما كان قبل الزيادة يصير جدولا رقيقا فى ذيل الروضة، فإذا اتصل ببحر بولاق فى شهر أبيب كان ذلك من الأيام المشهورة بمصر.

---

1 (١/ ٣٤٤).

2 دار الوكالة: كان أصلها قصرا ضخما بناه الوزير الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٥٠١ هـ، وكانت تعد منظرة على النيل، ثم تحولت فى عهد الملك الظاهر بيبرس إلى دار وكالة.

3 صناعة التمر الفاضلية: بناها القاضى الفاضل، وكان أصلها دارا وقفت على فكاك الأسرى، ثم عرفت بعد ذلك بصناعة التمر الفاضلية.

فلما كانت أيام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة، أراد أن يكون الماء طول السنة كثيرا فيما دار بالروضة، فأخذ بالاهتمام فى ذلك، وغرق عدة من المراكب مملوءة بالحجارة فى بر الجيزة، ومن قبلى جزيرة الروضة، فانغطس الماء، وعمل البحر من حينئذ قليلا قليلا، وتكاثر أولا فأولا.

قال ابن المتوج: لما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة صار فى كل سنة يحفر هذا البحر بنفسه وجنده، ويطرح بعض رمله فى البقعة التى عمر فيها الناصر الجامع الجديد، وشرع خواص السلطان فى العمارة على شاطئ هذا البحر من موضع الجامع الجديد الآن إلى المدرسة المعزية.

قال: وأخبرنى من أثق بنقله أنه أخبر عمن رأى الأسطال التى كانت معلقة بالطاقات المطلات على النيل، وكان عددها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر وأطناب بها ترخى وتملأ.

وقال ابن المتوج أيضا: فى سنة أربع وستين وستمائة حفر السلطان الملك الظاهر بيبرس بحر مصر بنفسه وعسكره، ما بين الروضة والمنشأة.

*** ذكر ركوب الملك الظاهر بيبرس إلى الروضة وعومه فى النيل:**

قال المقريزى 1: فى سنة إحدى وسبعين وستمائة نزل السلطان الظاهر يعوم فى النيل وهو لابس زردية، وعمل مطارد [1]، وأركب فوقها الأمير حسام الدين الدوادار، والأمير علاء الدين أيدغدى الأستادار، وجرها وجر فرسين وهو يعوم لابسا الزردية من البر إلى البر.

*** ذكر ركوب الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الروضة:**

قال المقريزى 2: فى محرم سنة اثنتين وسبعمائة نجزت عمارة الشوانى، وجهزت

---

(١) فى ب، جـ: بطارد.

---

1 السلوك (٢/ ٦٠٨).

2 الخطط (٢/ ١٩٥).

للمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين أقوش، واجتمع الناس إلى مشاهدة لعبهم، ونزل السلطان والأمراء، فركب الأمراء على الحراريق إلى الروضة، ووقف العسكر على بر بستان الخشاب، واجتمع من العالم ما لم يحصهم إلا الله، وامتلأ البران من بولاق إلى الصناعة، حتى لم يوجد موضع قدم خال، وبلغ كراء 1 المركب الذى يحمل عشرة أنفس مائة درهم فضة، وبرزت الشوانى للعب كأنها فى الحرب، فلعب الأول والثانى والثالث، وأعجب الناس بذلك إعجابا زائدا؛ لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب، ثم تقدم الرابع وفيه أقوش، فما هو إلا أن خرج من مينة الصناعة بمصر وتوسط النيل، إذا بالريح حركه فمال به ميلة واحدة، وصار أعلاه أسفله، فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال، وتكدر ما كان فيه من الصفو، وتلاحق الناس بالشنى، وأخرجوا ما سقط منه فى الماء، فلم يعدم منه سوى أقوش، وسلم الجميع، وعاد السلطان والأمراء (إلى القلعة) [1]، وانفض الجمع.

وفى هذه السنة فى يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة حصلت الزلزلة الكبرى بالديار المصرية، التى لم يعهد مثلها، فهدمت أكثر بيوت القاهرة، وانهدمت مآذن الجوامع [2] والمدارس، وخرب جامع عمرو، وجامع الأزهر، وجامع الحاكم، وجامع الصالح، وفاض ماء النيل، حتى ألقى المراكب التى كانت بالشاطئ قد رميت بهم، وخرجت الناس من البيوت، ونصبوا الخيام من بولاق إلى الروضة، وأقاموا فيها.

قال المقريزى: ولم تكد دار بالقاهرة ومصر تسلم من الهدم أو تشعث بعضها، وسقطت الزروب 2، ولم يبق دار إلا وعلى بابها التراب والطوب، حتى صارت القاهرة ومصر بحيث إذا رآها إنسان يتخيل أن العدو جاء إليها وخربها.

---

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

(٢) فى الأصل: الجميع. وهو تصحيف.

---

1 أى: أجرة.

2 الزروب، ويقال المزاريب: جمع مزراب، وهو أنبوبة من الحديد ونحوه تركب فى جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع.

قال: وأقامت الأرض عشرين يوما ترجف، وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى.

وذكر غيره أن هذه الزلزلة أقامت أربعين يوما.

وذكر صاحب (الطالع السعيد) 1 أن الشريف تقى الدين محمد ابن الشيخ ضياء الدين جعفر بن محمد ابن الشيخ عبد الرحيم القنائى قال فى هذه الزلزلة:

مجاز حقيقتها فاعبروا ولا تعمروا هونوها تهن

وما حسن بيت له زخرف تراه إذا زلزلت لم يكن

*** ذكر المعركة التى كانت بالنيل بين الروضة والجزيرة الوسطى:**

قال المقريزى 2 فى حوادث سنة ثمان وستين وسبعمائة: فى شهر ربيع الأول كملت عمارة الشوانى البحرية، وعدتها مائة قطعة، فشحنت بالعدد الحربية وآلات السلاح وزينت، وأقيم فيها الطبول والأبواق، وأنزلوا بها عدة مماليك لابسة آلات الحرب، ثم ركب السلطان الأشرف شعبان بن حسين والأمير يلبغا وسائر الأمراء والأعيان لرؤية الشوانى، وخرج الناس من أقطار المدينة فى يوم السبت رابع عشرى ربيع الأول، فسار السلطان بعسكره إلى الجزيرة الوسطى، وركب الحراقة وقد امتلأت تلك الأراضى بالناس، فقدمت الشوانى وبعثت رجالها بالآلات الحربية كما يفعل عند لقاء العدو، ودقت الكوسات 3، ونفخت البوقات، وأطلقت [1] النفوط، فكان منظرا جميلا وأمرا حسنا لو تم.

فلما انتهى ذلك توجه السلطان فى الحراقة إلى بر الجيزة، وأقام يلبغا حاجب

---

(١) فى الأصل: أفلتت. وفى ب: وانطلقت.

---

1 الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، لكمال الدين أبى الفضل جعفر بن تغلب الإدفوى الشافعى، المتوفى سنة ٧٤٩هـ.

2 السلوك (٣/ ١٢٩).

3 الكوسات: نوع من الطبل.

الحجاب بالجزيرة عند الشوانى، ثم مضى السلطان يريد الصيد بالبحيرة، ومضى يلبغا إلى جزيرة القط، فلما كان يوم الأربعاء خامس ربيع الأول قدم يلبغا من جزيرة القط، وسار فى محفل كبير إلى القلعة، فمنعهم نائب الغيبة من دخولها، فعاد إلى منزله بالكبش، ثم ركب يوم الخميس فى عسكر موفور إلى بر الجيزة، فبرزت إليه الشوانى حتى صارت فى وسط النيل، ورمته المماليك السلطانية منها بالسهام والنفط، فما زال القوم يترامون نهارهم، ثم أمر يلبغا، فجىء بالخليفة وأنوك بن حسين بن محمد بن قلاوون، وطلب من الخليفة أن يفوض إليه السلطنة عوضا عن أخيه شعبان، فامتنع من ذلك، وقال: إن الشوكة للأشرف شعبان، فأمر بالكوسات فدقت (بين يديه)[1]، وأقام شعار السلطنة، وقال: أنا أعينه وأؤيده، (ومن الشوكة غيرى)[2] ؟ فلم يجد الخليفة بدا من سلطنة أنوك، فأقاموه سلطانا، ولقبوه الملك المنصور، وأركبوه بالشعار السلطانى، وذلك بالجزيرة الوسطى، واشتدت الحرب بين الفريقين، وجلس المنصور أنوك بكرة وبين يديه وجوه الدولة من الأمراء وأرباب الأقلام على العادة، فلما انفضت الخدمة ركب بالعساكر مع الأمير يلبغا للحرب[3]، واستمر الرمى من الشوانى إلى نصف نهار يوم السبت، فنزل عدة من الأشرفية فى أربعة شوانى، يريدون جهة الروضة، هذا وأسواق القاهرة طول هذه الأيام مغلقة، وليس للناس شغل سوى التفرج فى شاطئ النيل على المقاتلين من السلطانية واليلبغاوية، وصاروا يلهجون كثيرا بقولهم: « سلطان الجزيرة، ما يسوى شعيرة ».

وتعصب العامة للسلطان الأشرف، وسبحوا النيل إليه، وقد وصل إلى بر الجيزة، فانحل أمر يلبغا، وتسلل من معه، وصعد الأشرف (إلى القلعة) [4]، وأمسك يلبغا، وحبس وقتل.

---

(١) ما بين القوسين ليس فى الأصل.
(٢) ما بين القوسين ليس فى الأصل.
(٣) هذه اللفظة ليست فى جـ.
(٤) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

*** ذكر ركوب السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون إلى الروضة:**

قال المقريزى 1 فى حوادث سنة أربع وسبعين [1] وسبعمائة: ركب السلطان فى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة، وتوجه لعيادة أمه بالروضة، فأقام عندها [2] على شاطئ النيل حتى عاد إلى القلعة فى يوم الخميس ثامن عشرة، فلما كان يوم الثلاثاء آخر ذى القعدة توفيت أم السلطان بالروضة، وهى خوند بركة، وهى التى بنت المدرسة المعروفة بأم السلطان بخط التبانة.

وقال الأديب شهاب الدين أحمد السعدى 2 فى موتها:

فى مستهل العشر من ذى حجة كانت صبيحة موت أم الأشرف

فالله يرحمها ويعظم أجره ويكون فى عاشورا موت اليوسفي

يعنى الأمير ألجاى اليوسفى الأتابك زوجها. ومن الاتفاق الغريب أن الأمر وقع كذلك، فمات ألجاى يوم عاشوراء بعد أربعين يوما من موت زوجته غريقا، ثم أخرج، ودفن بمدرسته بخط سويقة العزى.

*** ذكر ركوب السلطان الملك المؤيد شيخ إلى الروضة:**

قال المقريزى 3 فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة: فى يوم الجمعة حادى عشرى رجب ركب السلطان النيل للنزهة به، فزار الآثار النبوية 4، وبر من هناك من

---

(١) فى الأصل: وستين.

(٢) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

---

1 الخطط (٣/ ٢٠٧).

2 هو الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن مخلوف بن فضل الله بن سعد بن ساعد، المعروف بالأعرج السعدى. توفى فى شهر ذى الحجة سنة ٧٨٥ هـ.

3 السلوك (٤/ ٥٣٤).

4 الآثار النبوية: هى بعض الآثار التى تنسب إلى سيدنا رسول الله ﷺ كالمرود، والملقط، والمكحلة، والمشط، وغير ذلك، وكانت تحفظ فى رباط ببستان المعشوق جنوبى مصر القديمة، وظلت هذه الآثار بذلك الرباط الذى تحول بعد ذلك إلى جامع « أثر النبى »، ثم آلت مؤخرا إلى حجرة خاصة بها مجاورة لمقام الإمام الحسين ﷺ بالقاهرة.

الفقراء، ثم توجه إلى المقياس بالروضة، فصلى الجمعة بجامع المقياس، ورسم بهدمه وبنائه وتوسعته، (ففعل ما أمر به السلطان على الفور) [1].

*** ذكر ركوب سلطان الإسلام والمسلمين الملك الأشرف إلى الناصر قايتباى سلطان هذا العصر نصره الله تعالى وأطال بقاءه إلى الروضة:**

فى يوم الأحد رابع عشرى ربيع الأول سنة ست وثمانين ركب السلطان الملك الأشرف إلى الروضة؛ للكشف على جامع الفخر المعروف بالمقسى، ورسم بعمارته وتجديده، ونصب مخيمه الشريف بالكوادى 1، وبات بها، وفى يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول [2] من السنة ركب إليها، وقد وقع الشروع فى حفر أساس الجامع، فرأى ذلك، وفى يوم الإثنين حادى عشرى جمادى الأولى من السنة ركب إليها، وفى ذى الحجة منها ركب إليها مرة أخرى، وكشف على العمارة، وفى ليلة الأحد خامس عشرى شعبان سنة سبع وثمانين حضر إليها ليلا فى مركب من الوجه البحرى، وطلع إلى الجامع، وبات بقية الليلة بالرواق الذى جعل على بابه، إلى أن طلع النهار ومضى منه أربع ساعات، فركب إلى القلعة. وفى يوم السبت سابع المحرم سنة ثمان وثمانين ركب إليها، وأشرف على العمارة، وعاد. وفى يوم الأحد [3] سنة إحدى وتسعين ركب إليها، وتوجه إلى الخرطوم 2، وكشف على الطين المستجد الذى اشتراه ووقفه على الجامع، ورسم بأن يقاس ويعمل عليه جسر يحوزه، وأقام بالجامع طول نهاره، وفى يوم الأحد رابع عشرى رجب من السنة ركب إليها وكشف على الزيادة المستجدة.

---

(١) ما بين القوسين مثبت من جـ.

(٢) كتب فى هامش الأصل: الثانى.

(٣) لم يرد ذكر الشهر فى النسخ المخطوطة.

---

1 الكوادى: قطع من الأرض مليئة بالرمال، وكانت محاطة بالماء على صورة جزر صغيرة بجزيرة الروضة وخارجها.

2 الخرطوم: كان موقعه بالناحية الشمالية لجزيرة الروضة.

*** ذكر ما بنى بالروضة من الجوامع:**

١- جامع غبن:

قال ابن المتوج: المسجد الجامع بروضة مصر يعرف بجامع غبن وهو القديم، وغبن أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله، كان يلقبه قائد القواد، وقلد الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجزيرة، والنظر فى أمور الجميع وأموالهم وأحوالهم، وذلك فى سنة اثنتين وأربعمائة، ولم تزل الخطبة قائمة فيه إلى أن عمر جامع المقياس، فبطلت الخطبة منه، ولم تزل بطالة منه إلى الدولة الظاهرية، وكثرت عمائر الناس حوله فى الروضة، وعمر الصاحب محيى الدين ابن الحاجب بهاء الدين بن حناء داره قبالة هذا الجامع، فحسن له إقامة الجمعة فيه لقربه منه، فشاور الظاهر بيبرس، فرسم بإقامة الخطبة فيه مع بقائها بجامع المقياس، فأقيمت فى سنة ستين وستمائة، وولى خطابته القاضى جمال الدين بن القصارى، وكان إمامه فى حال تعطله من الخطبة، وكان نائب الحكم بمصر والجيزة، فأضيف إليه الخطابة مع الإمامة، ثم وليه ولده قطب الدين، وهو مستمر إلى الآن. هذا كله كلام ابن المتوج.

وقد صار هذا الجامع يسمى الآن جامع الأباريقى، بولى مدفون بجواره يسمى الشيخ أحمد الأباريقى، ونسى اسم غبن، فلا يعرفه الآن أحد إلا من له نظر فى التاريخ.

٢- جامع المقياس:

قال ابن المتوج: هذا الجامع عمره الملك الصالح نجم الدين أيوب بقلعة الروضة، وكان قبالة بابه كنيسة، وكان بها بئر مالحة، وذلك مما عد من عجائب مصر أن فى وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحة.

قال: ولم يزل هذا الجامع بيد بنى الرداد، ولهم نواب عنهم فيه، وكان آخرا بيد القاضى السعيد (بن أبى الرداد، وكان ابن الحلال ينوب عنه فيه، ولما توفى القاضى السعيد) [1] ولى ولده المقياس خاصة، وولى نور الدين ابن الفقيه تقى

(١) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

الديـن ابن الشيخ محيى الدين بن القسطلانى الخطابة بالجامع المذكور، وذلك بعد سنة سبعمائة.

قال المقريزى 1: ثم لما كان أيام الملك المؤيد شيخ هدم هذا الجامع فى رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، ووسعه بدور إلى جنبه، وشرع فى عمارته، فمات قبل فراغه منه. انتهى.

(وقد جدده بعده الملك الظاهر جقمق، ووقف عليه وقفا) [1].

٣- جامع السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى سلطان هذا العصر:

هذا الجامع ثالث جامع أنشئ بالروضة، وكان يقال له فى القرن الماضى: جامع الفخر.

قال المقريزى: جامع الفخر بالروضة تقام فيه الجمعة والجماعات [2]، بناه القاضى فخر الدين ناظر الجيش فى أيام الناصر محمد بن قلاوون، وهو الذى تنسب إليه قنطرة الفخر، وذلك فى حدود سنة ثلاثين وسبعمائة، ثم جدده الصاحب شمس الدين المقسى، فصار يسمى جامع المقسى، ونسى اسم الفخر، ثم جدده سلطان عصرنا وزماننا الملك الأشرف أبو النصر قايتباى، أدام الله أيامه، وأقام على عمارته الجناب العالى البدرى، سيدى حسن الطولونى، أعزه الله تعالى، فزاد فيه ووسعه وبالغ فى إتقانه وزخرفته، بحيث قل أن يرى فى الجوامع مثله فى حسن بهجته، وكان ابتداء ذلك فى ربيع الأول سنة ست وثمانين وثمانمائة، وعمل فيه ناعورة 2 على وضع غريب، بحيث تدور بحمار ينقل قدمه وهو واقف من غير أن يمشى ولا يدور، وركب عليها طاحونة تدور بدورانها، وصار يسمى جامع السلطان، ونسى

---

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

(٢) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

---

1 الخطط (٢/ ٢٩٨).

2 الناعورة: الساقية التى تخرج الماء من البئر أو النهر إلى الحقل. والجمع: نواعير.

به اسم المقسى كما نسى باسم المقسى اسم الفخر، ثم أمر السلطان - نصره الله - أن يزاد فى هذا الجامع زيادة أخرى، فزيدت، وذلك فى سنة إحدى وتسعين، وأنشئ حول الجامع الغراس والعمائر الحسنة، فعمرت تلك البقعة، وأحييت الروضة بعدما كادت تدرس محاسنها.

٤- جامع الريس:

هذا رابع جامع أحدث بالروضة، وأول إنشائه زاوية أنشأها الشيخ محمد بن أصيل بن مهدى الهمدانى، من ذرية الشيخ أبى يزيد البسطامى، بعد أن أخذ بمكانها توقيعا بالأرض والبرج من السلطنة فى سنة ست وتسعين وستمائة، ثم جدد لذلك توقيعا من الملك المظفر بيبرس فى ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة، وفى هذه السنة وقفها، ونص التوقيع الثانى فيما وقفت عليه: « رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المظفرى الركنى، لا زالت مواهبه الشريفة تهيئ للأولياء مشربا، وتبلغ الصالحين من عباد الله تعالى مقصدا ومأربا، وتنجح لهم فى أيامه الزاهرة مسعى ومطلبا، أن يستمر الشيخ الصالح العابد الورع الزاهد الناسك السالك محمد البسطامى، نفع الله ببركاته، على ما بيده من الزاوية التى له ببرج الطراز (بقلعة الروضة، ويحمل فى ذلك على حكم التوقيع الشريف الذى بيده، المستمر الحكم إلى آخر وقت، الشاهد بالزاوية المستجدة المذكورة ببرج الطراز) [1]، وكذلك الأرض اللطيفة التى أنشأها لما زرعه فيها من البقولات وغيرها من الأشجار برسم الفقراء، وهى القطعة المجاورة لسور القلعة، وأن يكون ذلك من بعده لأولاده صدقة مستمرة، وموهبة مستقرة، لا يعارض فيها ولا ينازع، ولا ينقض حكمها ولا يمحى رسمها، رغبة فيما عند الله تعالى من الأجر والثواب، وذخيرة لنا نجدها يوم العرض والحساب، واستجلابا لأدعيته الصالحة لدولتنا القاهرة، وعملا على تحصيل الأجور والقربات فى أيامنا الزاهرة، فلتستقر الزاوية

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

المذكورة والطين المذكور المجاور لسور قلعة الروضة بيد الشيخ محمد المذكور - نفع الله به [1] - استقرارا لا يعارض فيه (ولا ينازع) [2]، ولا يتأول عليه فيه فى اليوم ولا فيما بعده. والخط الشريف أعلاه حجة به [3] إن شاء الله تعالى فى سابع عشرين ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة بالإشارة العالية الأميرية السيفية. نائب السلطنة الشريفة أعلاها الله تعالى ».

قلت: هذا الإنهاء وقع وأرض الروضة فى أيدى الملوك [4] بعد استئجارها من شيخ المدرسة التقوية، وقبل الإفراج عنها للمدرسة المذكورة، فظن أنها من أراضى بيت المال لتطاول المدة والجهل بالحال، فأنهى ذلك فى سنة ست وتسعين وستمائة، وسمح له بها. ثم لما قام شيخ المدرسة [5] فى تخليصها، وأفرج له عنها فى سنة ثمان وتسعين وستمائة كما تقدم، أو كان صاحب الزاوية نوزع فى هذه القطعة من الأرض، فتوسل إلى أخذ توقيع ثان بها من الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، فأنعم له بذلك على خلاف ما هو الشرع، ولم يقدر شيخ التقوية على رفعه، إما لقوة جاهه، وإما لكونه رأى أن فى ذلك مشقة مع كونها قطعة لطيفة لا تحتمل المنازعة، ومع كونه ما حصل له الإفراج عن بقية الأرض إلا بسعى كبير، خصوصا وقد أخذ منه نصف الروضة بكماله ولم يفرج عنه كما تقدم، فرأى السكوت أروح له.

ثم لما كان فى حدود سنة سبعين وسبعمائة جعلت هذه الزاوية جامعا، وكان الجاعل لذلك فتح الدين صدقة بن ناصر الدين بن زين الدين أبى بكر، ريس الخلافة، وكان البسطامى أولا لما بنى الزواية ووقفها جعل النظر فيها لنفسه أيام

---

(١) فى الأصل، جـ: بها.
(٢) ما بين القوسين ليس فى الأصل.
(٣) ليست فى جـ.
(٤) فى الأصل: المملوك.
(٥) فى الأصل: المدة.

حياته، ثم من بعده الأمير سيف الدين قطز [1]، ثم للحاكم الحنفى بنفسه، وبتولية من شاء من الأجناد الأخيار.

قال: ولا ينظر فيه الحاكم الحنفى بنفسه أكثر من مدة شهر واحد فما دونه. انتهى.

لخصت ذلك من كتاب وقفه، وتاريخه فى مستهل ربيع الآخر سنة ثمان وسبعمائة.

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

ذكر حكم هذه الجزيرة من حيث إقامة الجمعة [1] فيها وهل هى بلد مستقلة أو لا ؟

قد سئلت عن ذلك قديما فأجبت بجواب مختصر: أنها بلد مستقلة تقام فيها جمعة مستقلة عن الجمعة التى تقام بمصر، ولا يقال إنها منضمة إلى الفسطاط حتى تمتنع إقامة الجمعة فيها بناء على ما نص عليه الإمام الشافعى 1 ﷺ فى الأم من أنه يمتنع تعدد الجمعة فى البلد الواحد، ولا يجتمع فى بلد وإن عظم وضاق الجامع.

وأقول هنا زيادة على ذلك: وجه كونها بلدا مستقلة أمور منها:

تأخر فتحها عن فتح الحصن مدة أشهر.

ومنها ما تقدم نقله عن أرباب التواريخ أنها صارت فى زمن العبيدية 2 مدينة عامرة بها وال وقاض، وأنه كان يقال: مصر والقاهرة والجزيرة، وهذا صريح فى أنها بلد مستقلة كما أن كلا من مصر والقاهرة بلد مستقل، وانفرادها بوال وقاض دليل فى كونها بلدا مستقلا تقام به الجمعة.

أخرج البيهقى فى سننه 3 "عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه سئل عن القرى

---

(١) ورد مكانها فى جـ: الجماعة والجمعة.

---

1 هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى الهاشمى القرشى المطلبى، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، يعرف بناصر السنة، كان أحذق قرشى فى الرمى، وبرع فى الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث فنبغ فيهما، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. توفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ.

2 العبيدية: أى الدولة الفاطمية التى استمرت من سنة ٣٥٨ هـ إلى سنة ٥٦٧ هـ.

3 السنن الكبرى (٣/ ١٧٨).

التى بين مكة والمدينة: ما ترى فى الجمعة فيها ؟ قال: نعم، إذا كان فيهم أمير فليجمعوا".

وأخرج البيهقى أيضا 1 عن جعفر بن برقان قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى الكندى: انظر محل قرية أهل قرار ليسوا بأهل عمرة ينتقلون، فأمر عليهم أميرا ثم مره فليجمع بهم ".

وأخرج البيهقى أيضا 2 عن الوليد بن مسلم، قال: "سألت الليث بن سعد، فقال: كل مدينة أو قرية فيها [1] جماعة وعليهم أمير أمروا بالجمعة فليجمع بهم، فإن أهل الإسكندرية ومدائن مصر، ومدائن سواحلها، كان يجمعون الجمعة على عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان بأمرهما، وفيها رجال من الصحابة".

وأخرج عبد الرزاق 3 فى مصنفه 4 عن نافع، قال: "كان ابن عمر يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يعيب [2] عليهم".

وأخرج 5 عن ابن جريج، قال: "قلت لعطاء: ما القرية الجامعة ؟ قال: ذات الجماعة والأثر والقصاص، والدور المجتمعة غير المتفرقة والآخذ بعضها ببعض كهيئة جدة، قلت: فجدة جامعة ؟ قال: والطائف. قال: وإذا كنت فى قرية جامعة فنودى للصلاة من يوم الجمعة فحق عليك أن تشهدها".

وأخرج الدارقطنى والبيهقى فى سننهما 6، عن جابر بن عبد الله قال: "مضت

---

(١) فى ب: فى. وفى جـ: أو.

(٢) فى الأصل: يجيب. وما أثبتناه هو الموافق لما فى مصنف عبد الرزاق.

---

1 السنن الكبرى، الموضع نفسه.

2 السنن الكبرى، الموضع نفسه.

3 هو أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى، من أهل صنعاء، من حفاظ الحديث الثقات، أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل وغيره. توفى سنة ٢١١ هـ.

4 المصنف (٣/ ١٧٠).

5 المصنف (٣/ ١٦٨).

6 سنن الدارقطنى (٢/ ٣)، والسنن الكبرى للبيهقى (٣/ ١٧٧).

السنة أن فى كل ثلاثة إماما، وفى كل أربعين فما فوق ذلك جمعة وفطر وأضحى، وذلك أنهم جماعة".

وأخرج الطبرانى فى الكبير 1، والدارقطنى فى سننه 2 عن أبى أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ : « **على الخمسين جمعة، ليس فيما دون ذلك** ». ولفظ الطبرانى: « **الجمعة على الخمسين رجلا، وليس على ما دون الخمسين جمعة** ».

فتقرر بهذا كله أن الروضة بلد مستقل تقام بها الجمعة، وأول ما أقيمت بها فى زمن الحاكم بأمر الله بعد أن صارت مدينة عامرة، ولم تكن فيما تقدم كذلك، فلذا لم تقم بها فى الصدر الأول مع رغبة الناس إذ ذاك فى الصلاة خلف الأمير والخليفة، فإنه الذى كان يقيم الجمعة بنفسه، وكان عبورهم من الروضة إلى الفسطاط على الجسر سهلا عليهم، فكانوا يصلون خلف الأمير أو الخليفة بجامع عمرو.

فائـــدة:

قال السبكى 3: "الأماكن أربعة:

* **أحدها**: مصر جامع، وحكمه واضح.

* **والثانى**: القرى المتباعدة، لا يجوز إقامة الجمعة فيها عند أبى حنيفة لا واحدة ولا كثيرة، وعندنا تجوز واحدة.

* **الثالث**: ربض المصر، وهو الأبنية المتصلة بالمصر، وحكمه حكم المصر على قول الرافعى والأكثرين أن المسافر إذا جاوز السور لا يقصر فيه الصلاة حتى يفارق العمران، فمتى أقيمت فيه الجمعة مع إقامتها فى المصر كان كالتعدد فى المصر. وأما

---

1 المعجم الكبير (٨/ ٢٤٤).

2 سنن الدارقطنى (٢/ ٤).

3 هو أبو الحسن تقى الدين على بن عبد الكافى بن على السبكى الأنصارى الخزرجى، فقيه ومحدث وأصولى ولغوى، وهو والد تاج الدين السبكى صاحب طبقات الشافعية الكبرى، انتقل بين القاهرة والشام، وولى قضاء الشام، ثم اعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفى بها سنة ٧٥٦ هـ.

على قول النووى: أنه يقصر إذا جاوز البيوت قبل مجاورة العمران، فقياسه أن يكون الخارج عن السور كقرية متصلة لا تجوز فيها الجمعة عند أبى حنيفة، وتجوز عندنا.

قال: وإذا جوزناها فهل يكون ما حول السور كله قرية واحدة يقتصر فيها على جمعة واحدة، أو نقول ما كان متصلا بعضه ببعض فى حكم قرية واحدة لا يجوز التعدد، وما كان منفصلا فحكمه حكم القرية، وإذا تفاصلت أبنية خارج السور فكل أبنية اجتمعت وانفصلت عن الأخرى لم يلزمها حكم الأخرى، فيجوز التعدد فيها بهذا الطريق ؟ وهذا على قول النووى محتمل، وهو فى مذهبنا، وأما على مذهب أبى حنيفة فلا يأتى أصلا.

قال: ثم هذا الاحتمال المذكور مشروط بالانفصال مع عدم اسم جامع بين الأبنية المتفاصلة، وإلا فالتفاصل قد يحصل فى المصر أو فى القرية ولا أثر له، فإن الاسم الجامع بجميعها يجعلها شيئا واحدا، فالتفاصل مع عدم اسم جامع على هذا الاحتمال يجعلها كالقرى فهى شبه قرية".

قلت: وهذا من السبكى تقرير نفيس يستدل به على أن الروضة بلد مستقل، حيث كان يقال فى القديم: مصر والقاهرة والجزيرة، فأفردت الروضة باسم مستقل. ويؤخذ منه أيضا أن جزيرة أروى - وهى الجزيرة الوسطى - قرية مستقلة تقام فيها جمعة على انفرادها، ولا تضم لمصر ولا للقاهرة، وكذا حكم بولاق، ولذا قال السبكى:

"* **الرابع**: قرية متصلة بالمصر قريبة من السور أو المصر الذى ليس عليه سور مستقلة، فيحتمل أن يقال: إنها تابعة للمصر فى حكمه لقربها، فهى كالربض، ويحتمل أن يقال: إنها مستقلة كالمنفصلة عن المصر وعن غيرها من القرى انفصالا ظاهرا، بحيث تعد مستقلة بعدها غير تابعة.

وقال الشافعى فى (الأم): فى القريات الصغار المتصلة لا أحب إقامة الجمعة فيها. وظاهر ذلك يقتضى الجواز، وقد صرح بالكراهة لاتصالها، لا سيما إذا كان أهلها

يسمعون النداء من المصر. وعند مالك لا تقام الجمعة فيها، بل يجب على أهلها أن يأتوا إلى المصر، إلا أن يكون بينها وبين المصر ثلاثة أميال". هذا كله كلام السبكى.

قلت: للروضة شبه بهذا الرابع، من حيث القربة من الفسطاط وسماع النداء منه، لكن يبعدها الفصل بينهما بالنيل، خصوصا فى أيام زيادته، فيبعد أن يقال بكراهة إقامة الجمعة فيها وتكليف السعى إلى الفسطاط لما فيه من المشقة الظاهرة، فجعلها من القسم الثانى أقرب، وقد كان أهل الجيزة فى زمن عمرو بن العاص يحضرون الجمعة معه فى جامع الفسطاط، وكان ذلك سهلا عليهم بعبور الجسر، ثم إن عقبة ابن عامر الصحابى ﷺ أمرهم - فى زمن إمارته على مصر - أن يجمعوا فى مسجد همدان، وهذا دليل قوى على أن الجيزة تفرد بإقامة الجمعة عن مصر لانفصالها بالنيل، والروضة مثلها فى ذلك.

ثم قال السبكى: "(تقسيم آخر) [1]: الأماكن خمسة: المصر، والربض المتصل به لا منفصلا ولا منفردا باسم، فليس بمصر ولا قرية ولا شبه قرية، ولكنه فى حكم المصر، فهو جزء من البلد وليس ببلد. الثالث: قرية بعيدة عن المصر تجوز إقامة الجمعة فيها عندنا وعند المالكية، ولا تجوز عند أبى حنيفة. الرابع: قرية قريبة من المصر دون ثلاثة أميال تجوز إقامة الجمعة فيها عندنا، ولا تجوز عند المالكية ولا الحنفية. الخامس: شبه قرية، وهو ما كان بناء مفصولا خارجا عن مصر أو قرية، ولم ينفرد باسم خاص، فلا نقل فيه،ولكن على الاحتمال الذى قدمناه تجوز فيه الجمعة".

قلت: الروضة ليست من القسم الثانى ولا الخامس قطعا، بل هى إما من الثالث أو الرابع، ووجه كونها من الثالث تنزل انفصالها بالنيل منزلة بعد ثلاثة أميال.

فرع: هل تشترط فى الذين تقام بهم الجمعة فى الروضة أن يكونوا قاطنين بها حتى لا تنعقد بمن يأتى إليها متنزها من أهل مصر والقاهرة ؟ فيه نظر، والأقرب أن لا يشترط ذلك، وأن الشرط أن يكون المكان الذى تقام فيه الجمعة مكان إقامة لقوم

---

(١) ما بين القوسين ليس فى جـ.

فى الجملة، حتى تسمى بلدا أو قرية، وأنه إذا حضر أهل المصر الذى هو بقربه انعقدت بهم الجمعة؛ لأنهم لا يسمون مسافرين عرفا بالمضى إلى مثل هذا المكان. ومرادى بذلك غير القرى البعيدة عن المصر بعدا ظاهرا، أو المنفصلة عنه انفصالا بعيدا، ثم ظهر لى أن يقال بمثل ذلك أيضا فى البعيدة بعدا يمكن الآتى منه إلى الجمعة أن يرجع إلى أهله ويبيت عندهم، أخذا من كون الصحابة رضى الله عنهم والتابعين كانوا يأتون الجمعة فى مثل هذا المكان.

روى أن رسول الله ﷺ قال: « **الجمعة على من أواه الليل** » 1. وروى ابن أبى شيبة 2 عن أبى هريرة أنه كان يأتى الجمعة من ميلين، وعن الزهرى 3 قال: "كانوا يشهدون الجمعة مع النبى ﷺ من ذى الحليفة". وعن أبى هريرة 4 قال: "تؤتى الجمعة من فرسخين". (وعن ابن عمر 5 أنه كان يأتى الجمعة من ثلاثة أميال. وعن أنس 6 أنه قال: "اشهد الجمعة من فرسخين") [1]. وعن مجاهد 7 قال: "كانت العصبة من الرجال والنساء يجمعون مع النبى ﷺ فما يأتون رجالهم إلا من الغد".

وروى عبد الرزاق 8 عن معاذ بن جبل أنه كان يقول على منبره: "يا أهل قرد، يا أهل دايرة – قريتين من دمشق إحداهما على أربع فراسخ والأخرى على خمسة –: إن الجمعة لزمتكم، وأن لا جمعة إلا معنا".

---

(١) ما بين القوسين ليس فى جـ.

---

1 أخرجه الترمذى فى سننه (٢/ ٣٧٦) عن أبى هريرة. وقال: إسناده ضعيف. ونقل تضعيفه عن الإمام أحمد. وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١/ ٤٤١) من قول نافع مولى ابن عمر.

2 مصنف ابن أبى شيبة (١/ ٤٦٧)، ولكن عن عبد الله بن رواحة.

3 أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١/ ٤٤١).

4 أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١/ ٤٤١).

5 أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١/ ٤٤١)، ولكن عن عبد الله بن عمرو.

6 أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١/ ٤٤٠) من فعل أنس وليس من قوله.

7 أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١/ ٤٤١)، وأبو داود فى المراسيل، ص ١٠٠.

8 أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٣/ ١٦٤).

وروى عن معاوية 1 أنه كان يدعو أهل فاتن فيقول: "اشهدوا الجمعة". وأهل فاتن حينئذ من دمشق على أربعة وعشرين ميلا.

وفى الترمذى 2 حديث: "أمرنا النبى ﷺ أن نشهد الجمعة من قباء".

فهذه كلها تدل على انعقاد الجمعة بمن يأتى من بعض القرى والبلاد المتقاربة إلى بعضها، ولو ضبط ذلك بما لم يصل إلى مسافة القصر لم يكن بعيدا.

* ذكر رباط المشتهى:

قال المقريزى 3: هذا الرباط بروضة مصر، وكان به الشيخ المسلك بهاء الدين محمد الكازرونى. قال: ولله در شيخنا العارف شهاب الدين أحمد الشاطر الدمنهورى، حيث يقول:

بروضة المقياس صوفية هم منية الخاطر والمشتهى

لهم على البحر أياد علت وشيخهم ذاك هو[1] المنتهى

وحكى سبط الشيخ عمر بن الفارض فى أول ديوانه، قال: حكى لى ولد الشيخ، قال: كان الشيخ يتردد إلى المسجد المعروف بالمشتهى فى أيام النيل، ويحب مشاهدة البحر، وفيه قال من أبيات:

وطنى مصر وفيها وطرى ولعينى مشتهاها مشتهاها

فتوجه إليه يوما فوجد[2] قصارا يضرب مقطعا على حجر وهو يقول:

---

(١) فى ب، جـ: له.

(٢) فى ب، جـ: فسمع.

---

1 أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه فى الموضع نفسه.

2 سنن الترمذى (٢/ ٣٧٤) عن رجل من أهل قباء. وقال الترمذى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقد روى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى هذا، ولا يصح.

3 الخطط (٢/ ٤٢٩).

قطع قلبى ذا المقطع فلبنا[1] يصفو أو يتقطع

قال: فلم يزل يكرر هذا السجع كل يوم، ويضطرب اضطرابا شديدا، ويتواجد وجدا عظيما، ويتقلب على الأرض، ويسكن اضطرابه حتى يظن أنه قد مات، ثم يستفيق، ويتكلم معنا بكلام ما سمعنا مثله قط، ثم يعود إلى حالة وجده، ولم يزل على هذا الحال من حين سمع قول القصار حتى توفى ﷺ.

*** ترجمة الشيخ عبد الرحمن الجذامى:**

قال شيخ الإسلام سراج الدين بن الملقن 1 - ومن خطه نقلت - فى كراريس فيها تراجم الأولياء: الشيخ عبد الرحمن بن موسى بن خلف الجذامى، الصالح الخير ذو الكرامات، عرف بالروضى لسكناه بها، أخذ عنه شيخنا على الدميرى وغيره، وكان مقصودا بالزيارة والتبرك. مات بروضة مصر فى منتصف رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

وفى تاريخ المقريزى: فى سنة ست عشرة وسبعمائة مات الشيخ نور الدين الكنانى المقرىء ليلة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى بروضة مصر.

وفيه [2]: فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفى الشيخ العارف المسلك بهاء الدين محمد الكازرونى ليلة الأحد خامس ذى الحجة بزاويته التى يقال لها المشتهى بالروضة، أخذ عن أحمد الحريرى خادم ياقوت العرشى [3] خادم أبى العباس المرسى، عن الشيخ أبى الحسن (الشاذلى، وصحبته زمانا. وفى (إنباء الغمر بأبناء العمر) 2 لشيخ الإسلام والحفاظ أبى الفضل بن حجر: محمد بن عبد الله

---

(١) فى ب: فالنسا. وفى جـ: طالما.

(٢) أى: فى تاريخ المقريزى.

(٣) فى ب، جـ: الحبشى. وكتب فى هامش الأصل: لعله الحبشى. وكلاهما صواب، فهو ياقوت العرشى الحبشى.

---

1 هو أبو حفص، سراج الدين عمر بن على بن أحمد الأنصارى الشافعى، المعروف بابن الملقن، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادى آش (بالأندلس)، ومولده ووفاته بالقاهرة، وله ثلاثمائة مصنف. توفى سنة ٨٠٤ هـ.

2 (١/ ٤٩).

الكازرونى الشيخ بهاء الدين، قدم مصر فصحب الشيخ أحمد الحريرى، صاحب الشيخ ياقوت العرشى، تلميذ الشيخ أبى العباس) [1] المرسى، وانقطع بعده فى المشتهى من الروضة، وكان الناس يترددون إليه ويعتقدونه، وكان الشيخ أكمل الدين كثير التعظيم له، وانقطع إليه البدر البشتكى، وكتب له أشياء كثيرة من تصانيف الشيخ محيى الدين بن عربى، وكان يكثر الثناء عليه، وكانت وفاته فى ذى الحجة، وأرخه ابن دقماق ليلة الأحد خامس ذى القعدة.

*** ذكر المنتهى:**

ذكره المقريزى فى الخطط، وبيض له فلم يذكر فيه شيئا، وقد سكن به من الصوفية السادة الوفائية.

*** ترجمة سيدى محمد وفا الأكبر والد أهل البيت الوفائى:**

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر فى كتابه (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة): محمد بن محمد بن محمد أبو الوفاء الشاذلى، أخذ عن الشيخ ياقوت العرشى وغيره، ونبغ فى النظم وإنشاء قصائد على طريقة ابن الفارض، واشتهر. مات فى ربيع سنة خمس وستين وسبعمائة.

وفى (إنباء الغمر) 1: أبو الحسن على بن محمد بن أبى الوفاء محمد الشاذلى الصوفى، ولد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وكان يقظا حاد الذهن، اشتغل بالوعظ والأدب، وكان أبوه معجبا به، وأذن له فى الكلام على الناس وهو دون العشرين، وكان أكثر أوقاته بالروضة قرب المشتهى، وله من التصانيف (الباعث على الخلاص من سوء الظن بالخواص) 2، رد فيه على الحافظ زين الدين العراقى فى كتابه الذى سماه (الباعث على الخلاص من حوادث القصاص)، وله كتاب (الكوثر

---

(٣) ما بين القوسين ليس فى ب.

---

1 (٢/ ٣٠٨).

2 ورد فى إنباء الغمر باسم: الباعث على الخلاص فى أحوال الخواص.

المترع فى الأبحر الأربع)، وديوان شعر، وموشحات، وفصول مواعظ. وكان مالكى المذهب. مات بالروضة فى ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة.

وأخوه شهاب الدين أحمد [1] صاحب أحوال، وهو أسن من على، وعلى هو الأشهر. مات فى شوال سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وله ست وخمسون، ونبغ له ولد، وهو أبو الفضل عبد الرحمن ابن الشيخ شهاب الدين، كان ذكيا حسن الأخلاق لطيف الطباع، له الشعر الفائق، غرق فى بحر النيل هو ومحمد بن عبيد البشكالسى، وقاضى المالكية جمال الدين عبد الله بن التنسى [2]، وذلك فى سنة أربع عشرة وثمانمائة 1.

وقال العينى 2: كانوا اجتمعوا فى منظرة بالروضة، وأرادوا الركوب فى مركب إلى الآثار، فامتنع أبو الفضل أشد الامتناع، فلم يزالوا به حتى ركب، وحكى أنه لما ركب قال لرفقته: عجبا أن نجونا من الغرق. فلم يتم كلامه حتى انقلب المركب بهم.

ورأيت بخط بعض أصحابنا المؤرخين، قال: حكى لى من أثق به أن أبا الفضل المذكور جاء يوما إلى الروضة ليعدى إليها، فوقف ينتظر المعدية، فإذا بها انقلبت وغرق فيها [3] منهم رجل من أصحابه، ولم يطلع به ولا وجد، فتمنى أبو الفضل أن يموت غريقا يستره البحر من الغاسل، ويستريح من هول الموت والقبر، فحصل له ما تمنى، غرق وفتش عليه فلم يوجد، مع الفحص عنه أياما.

---

(١) ليست فى جـ.

(٢) فى ب: المعتبنى. وفى جـ: القنسى.

(٣) جاء مكان هذه اللفظة فى ب، جـ: منها جماعة.

---

1 إنباء الغمر بأبناء العمر (٢/ ٤٩٨).

2 هو أبو محمد، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، العينى الحنفى، أصله من حلب، من كبار المحدثين، ولى فى القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون. توفى سنة ٨٥٥ هـ.

قلت: الغرق وإن كان شهادة فقد استعاذ منه النبى ﷺ، فقال فى دعائه: « **وأعوذ بك أن أموت غريقا** » 1، وأنا أحب ما يحبه النبى ﷺ، (وأكره ما كرهه) [1]، وأسأل ما سأله، وأستعيذ مما استعاذ منه، حبا فيه واتباعا لسنته، واقتداء به فى كل شىء، ووالله إنى لأود لو لدغتنى عقرب فى عمرى مرة لأكون قد اقتديت به فى ذلك، فإنه ﷺ قد لدغ بها مرة أو أكثر 2، فأتمنى لو وقع لى ذلك، فإنى لم ألدغ بها فى عمرى قط، وأحب الميتات إلى الموتة التى مات بها رسول الله ﷺ شهادة بالسم. وبذلك مات أبو بكر الصديق، والحسن سبط رسول الله ﷺ ورضى عنهما، وخلق لا يحصون من أكابر العلماء.

وفى كتاب (صلة التكملة لوفيات النقلة) [2] تأليف الحافظ عز الدين الحسينى: مجد الدين محمد ابن الأمير أبى العلا بن أبى بكر بن مبارك بن أبى طالب النجمى، الموصلى الأصل، المصرى المولد والدار، المعروف بابن أخى [3] المهتر، بكسر الميم، وسكون الهاء، وفتح التاء ثالث الحروف، وآخره راء، ولد فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وسمع من أبى الفضل بن كرم بن محمد بن أبى الصقر، وأبى على الحسن بن عبد الرحمن الأنصارى، وأبى محمد عبد القادر بن أبى عبد الله البغدادى، وأبى المكارم عبد الله بن الحسن السعدى، وغيرهم، وحدث، سمعت منه، وكان فاضلا [4] نبيلا وجيها، وتولى عدة ولايات، وهو من بيت رئاسة وتقدم. مات فى ثانى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستمائة، ودفن بالروضة، حضرت الصلاة عليه ودفنه. انتهى.

---

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

(٢) فى ب: صلة المتكملة لوفيات النقلة. وفى جـ: صلة الرحم المتكملة لوفيات النقلة. وكلاهما خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٣) هذه اللفظة ليست فى ب، جـ.

(٤) فى ب، جـ: حاذقا.

---

1 أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢/ ٣٥٦) عن أبى هريرة بلفظ « أن أموت غرقا ». قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ٣١٨): رواه أحمد، وفيه إبراهيم بن إسحاق، ولم أجد من وثقه، وبقية رجاله ثقات.

2 أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٥/ ٤٤)، (٦/ ١٠١)، والطبرانى فى المعجم الصغير (٢/ ٨٧) كلاهما عن على بن أبى طالب. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/ ١١١): إسناده حسن.

الكلام على النيل

*** ذكر وروده فى القرآن:**

قال التيفاشى 1 فى كتاب (سجع الهديل): لم يسم نهر من الأنهار فى القرآن سوى النيل فى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ 2. قال: أجمع المفسرون على أن المراد باليم هنا نيل مصر. انتهى.

وقال الإمام الجليل الحافظ أبو محمد بن أبى حاتم الرازى 3 فى تفسيره: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن السدى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ قال: هو النيل. وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ 4. وقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ 5.

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى (فتوح مصر) 6: حدثنا (عبد الله بن صالح، وعثمان بن صالح، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن حبيب) [1]، عن

---

(١) جاء مكان ما بين القوسين بياض بالنسخ المخطوطة. وأثبتناه من فتوح مصر لابن عبد الحكم.

---

1 هو شرف الدين، أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبى بكر بن حمدون القيسى، المعروف بالتيفاشى، نسبه إلى تيفاش، قرية بأفريقيا، ولد بها، وتعلم بمصر وتوفى بها سنة ٦٠١ هـ.

2 سورة القصص، الآية ٧.

3 هو أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد أبى حاتم التميمى الحنظلى الرازى، من كبار الحفاظ للحديث وعلماء الجرح والتعديل. توفى سنة ٣٢٧ هـ.

4 سورة الزخرف، الآية ٥١.

5 سورة الشعراء، الآيتان ٥٧، ٥٨.

6 فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٧.

عبد الرحمن بن شماسة المهرى، عن أبى رهم السماعى الصحابى ﷺ قال: كانت مصر قناطر وجسورا بتدبير وتقدير، حتى إن الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها، فيحبسونه كيف شاءوا ويرسلونه حيث شاءوا، فذلك قوله تعالى فيما حكى فى قول فرعون: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾. ولم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر، وكانت الجنان بحافتى النيل من أوله إلى آخره فى الجانبين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد، وسبعة خلج: خليج الإسكندرية، وخليج سخا، وخليج دمياط، وخليج صف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى، وخليج سردوس، جنات متصلة لا ينقطع منها شىء عن شىء، والزرع ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء، وكان جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا، لما قدروا ودبروا من قناطرها وخلجها وجسورها، فذلك قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ 1. وقال: والمقام الكريم: المنابر، كان بها ألف منبر. وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ 2. قال ابن أبى حاتم فى تفسيره: أخبرنا أبو يزيد القراطيسى فيما كتب إلى، أنبأنا أصبغ، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول فى قوله تعالى: ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾، قال: هى مصر، وليس الربى إلا بمصر، والماء حين يرسل يكون الربى عليها القرى، لولا الربى [1] لغرقت القرى.

وقال الإمام أبو بكر بن المنذر فى تفسيره: حدثنا حاتم، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن محمد بن زياد، قال: سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾، قال: مصر. وقال: حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا بشار بن موسى، حدثنا شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير فى الآية، قال: الربوة: المنتشر من الأرض. والقرار: المستوى. والمعين: الماء الجارى.

---

(١) فى ب، جـ: الرى.

---

1 سورة الدخان، الآيتان ٢٥، ٢٦.

2 سورة المؤمنون، الآية ٥٠.

وقال جوبير فى تفسيره: عن الضحاك، عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن عيسى عليه السلام كان يرى العجائب فى صباه إلهاما من الله تعالى، ففشا ذلك فى اليهود، وترعرع عيسى، فهمت به بنو إسرائيل، فخافت أمه عليه، فأوحى الله إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾. أخرجه الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر فى ترجمة عيسى عليه السلام فى تاريخ دمشق 1.

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ 2، قال الليث بن سعد: هى مصر، بارك فيها بالنيل. حكاه أبو حيان فى تفسير [1] البحر 3.

وقال القرطبى 4 فى هذه الآية: الظاهر أنهم ورثوا أرض القبط. وقيل: أرض الشام ومصر. قاله الحسن وقتادة وغيرهما 5.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ 6، قال قوم: الأرض الجرز هى أرض مصر، لا مطر لها، فيسوق الله إليها النيل. وقواه الحافظ عماد الدين بن كثير 7 فى تفسيره 8 .

---

(١) فى ب، جـ: سيرة.

---

1 تاريخ دمشق (٤٧/ ٣٧٦).

2 سورة الأعراف، الآية ١٣٦.

3 البحر المحيط (٤/ ٣٧٦).

4 هو أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبى، من كبار المفسرين، كان ورعا متعبدا. توفى سنة ٦٧١ هـ.

5 الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى (٧/ ٢٧٢).

6 سورة السجدة، الآية ٢٧.

7 هو أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، البصروى الأصل نسبة لبصرى الشام، الدمشقى الشافعى، حافظ ومفسر وفقيه ومؤرخ، وهو تلميذ للحافظ المزى وابن تيمية. توفى سنة ٧٧٤ هـ.

8 تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦٤).

*** ذكر أسمائه :**

قال الدارانى [1] فى ديوان الأدب: النيل فيض مصر. وقال التيفاشى: قد ذكرت العرب النيل فى أشعارها، وضربت به الأمثال. قال قيس بن معدى [2] كرب، فيما أورده الجاحظ فى كتاب الأمصار:

ما النيل أصبح زاخرا بمدوده وجرت له ريح الصبا فجرى بها[3]

وقال ابن دريد فى الجمهرة: اليم فسروه فى التنزيل البحر، وزعم قوم أنها لغة سريانية، والله أعلم.

وقال المسعودى 1: نهر النيل من سادات الأنهار وأشرف البحار؛ لأنه يخرج من الجنة على ما ورد به خبر صاحب الشريعة، وقد ذكر الحكماء أنه إذا زاد غاضت له الأنهار والأعين والآبار، وإذا غاض زادت، فزيادته من غيضها، وغيضه من زيادتها، وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر؛ لكبره واستبحاره. انتهى.

وفى الخطط 2 للمقريزى: قال فى كتاب هردسقوس: نهر النيل هو الذى يسمى يادون [4]، مخرجه خفى، ولكن ظاهر إقباله من أرض الحبشة.

*** ذكر الأحاديث الواردة فى النيل :**

قال الإمام أحمد فى مسنده 3: حدثنا ابن نمير، حدثنا عبيد الله بن حبيب بن

---

(١) فى الأصل: الفارابى. وفى ب: الدارقطنى.

(٢) فى ب، جـ: عدى.

(٣) فى ب، جـ: لها.

(٤) كذا ورد هذا الاسم بالنسخ الخطية. وورد فى الخطط (١/ ٥٣): باون.

---

1 هو أبو الحسن، على بن الحسين بن على المسعودى، من ذرية عبد الله بن مسعود، من أهل بغداد، أقام بمصر، وتوفى فيها، وهو مؤرخ رحالة بحاثة، وكان معتزليا. توفى سنة ٣٤٦ هـ.

2 (١/ ٥٣).

3 المسند (٢/ ٢٨٩).

عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إن سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة** ». أخرجه مسلم فى صحيحه 1.

وقال الإمام أحمد فى مسنده 2 أيضا: حدثنا عفان، حدثنا همام، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك، أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به، قال: « **ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فقلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات** ». أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما 3.

قال (ابن السنى فى الطب النبوى: حدثنا أبو محمد بن صاعد، حدثنا) [1] العباس بن يزيد الرملى، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى، حدثنا إدريس بن يزيد الأودى، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **أربعة أنهار من الجنة: النيل، والفرات، وسيحان، وجيحان** ».

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه 4 فى تفسيره المسند: حدثنا محمد بن عبد الله [بن إبراهيم، حدثنا أبو إسماعيل الترمذى، حدثنا سعيد بن سابق، حدثنى مسلمة ابن على، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: « **أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها، على جناحى جبريل، فاستودعها الجبال، وأجراها فى الأرض، وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾** 5 **فإذا كان عند خروج**

---

(١) ما بين القوسين لم يرد فى ب، جـ.

---

1 صحيح مسلم (٤/ ٢١٨٣).
2 المسند (٤/ ٢٠٩).
3 صحيح البخارى (٣/ ١١٧٣)، وصحيح مسلم (١/ ١٥٠).
4 هو أبو بكر، أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهانى، المعروف بابن مردويه الكبير، حافظ مؤرخ مفسر، من أهل أصبهان. توفى سنة ٤١٠ هـ.
5 سورة المؤمنون، الآية ١٨.

يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن، والفهم كله، والحجر من ركن البيت، ومقام إبراهيم الخليل، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴾ 1، فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خيرها ». أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد 2، والحافظ ضياء الدين المقدسى فى صفة الجنة.

وشاهده ما أخرجه الحاكم فى المستدرك 3 وصححه، من طريق المسعودى، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ « **يوشك أن تطلبوا فى قراكم هذه طستا من ماء فلا تجدونه، يروى كل ماء إلى عنصره، فيكون بالشام بقية المؤمنين والماء** ».

وفى غريب الحديث 4 لابن قتيبة فى حديثه عليه الصلاة والسلام: « **نهران مؤمنان ونهران كافران: أما المؤمنان فالنيل والفرات، وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ** »، قال ابن قتيبة: إنما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه؛ لأنهما يفيضان على الأرض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب فى ذلك ولا مؤنة، وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لأنهما لا يفيضان على الأرض، ولا يسقيان شيئا إلا قليلا، وذلك القليل بتعب ومؤنة. فهذان فى الخير والنفع كالمؤمنين، وهذان فى قلة الخير والنفع كالكافرين.

وأخرج ابن مردويه فى تفسيره عن الكلبى فى قوله تعالى: ﴿ **مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ** ﴾ الآية 5: حدثنى أبو صالح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « لما أسرى بى فانطلق بى الملك، فانتهى بى إلى نهر الخمر، فإذا

---

1 سورة المؤمنون، الآية ١٨.

2 تاريخ بغداد (١/ ٥٨). وأخرجه أبو عمرو الدانى فى كتابه السنن الواردة فى الفتن (٦/ ١٢١٨).

3 المستدرك على الصحيحين (٤/ ٥٤٩)، ولكنه موقوف على عبد الله بن مسعود.

4 لم نجده فى النسخة المطبوعة من غريب الحديث لابن قتيبة، ولكن أورده ابن الأثير فى النهاية فى غريب الحديث (١/ ٦٩).

5 سورة محمد، الآية ١٥.

عليه إبراهيم عليه السلام. فقلت للملك: أى نهر هذا ؟ فقال: هذا نهر دجلة. فقلت: إنه ماء. فقال: إنه ماء فى الدنيا يسقى الله به من يشاء، وهى [1] فى الآخرة خمر لأهل الجنة. قال: ثم انطلقت مع الملك إلى نهر الرب، فقلت للملك: أى نهر هذا ؟ قال: هذا جيحون، وهو الماء غير آسن، وهو فى الدنيا ماء يسقى به من يشاء، وهو فى الآخرة ماء غير آسن. ثم انطلق فأبلغنى نهر اللبن الذى يلى القبلة، فقلت للملك: أى نهر هذا ؟ فقال: هذا نهر الفرات. فقلت: هو ماء. فقال: هو ماء يسقى الله به من يشاء فى الدنيا، وهو لبن فى الآخرة لذرية المؤمنين الذين رضى الله عنهم وعن آبائهم. ثم انطلق بى الملك فأبلغنى نهر العسل الذى يخرج من جانب المدينة. فقلت للملك الذى أرسل معى: أى نهر هذا ؟ قال: هذا نهر مصر. قلت: ما هو ؟ قال: هو ماء يسقى الله به من يشاء، وهو فى الآخرة عسل لأهل الجنة ».

وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس 1 من حديث حذيفة مرفوعا: « **خراب مصر من جفاف النيل** ».

وفى الميزان 2 للذهبى [2] من طريق سفيان بن وكيع، حدثنا يونس بن بكير، عن أبى إسحاق، عن عبيد الله بن يزيد، عن عبد [3] الله بن معتب، (عن أبى هريرة مرفوعا: « **لو التمستم النيل لوجدتم فيه من ورق الجنة** ». عبد الله بن معتب) [4] الأزدى ليس بذاك، وأورده (ابن الوردى) [5] فى كتاب خريدة العجائب بلفظ: قال رسول الله ﷺ: « **إن النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها** ».

---

(١) فى جـ: وهو.

(٢) فى الأصل: للوهبى. وهو خطأ، إذ صاحب كتاب ميزان الاعتدال فى نقد الرجال هو الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

(٣) فى جـ: عبيد.

(٤) جاء مكان ما بين القوسين فى جـ: قال.

(٥) فى الأصل: ابن الورادى. وما بين القوسين ليس فى جـ.

---

1 لم نجده فى النسخة المطبوعة من مسند الفردوس.

2 ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (٤/ ٢٠٤).

وقال أبو الشيخ 1 فى كتاب العظمة 2: حدثنا أحمد بن هارون بن روح أبو [1] بكر، حدثنا على بن الوليد، حدثنا حسان بن محمد بن الجراح ابن أخى وكيع، ثقة، حدثنا يونس بن بكير، حدثنى محمد بن إسحاق، حدثنى سعيد بن زيد، أحسب أنه ابن شجاع المصرى، عن عبد الله بن معتب مولى الزبير، عن أبى هريرة، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: « **إن النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم فيه من ورقها** ».

*** ذكر الآثار الموقوفة:**

قال ابن عبد الحكم فى (فتوح مصر) 3: حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الخير، عن كعب الأحبار أنه كان يقول: "أربعة أنهار من الجنة وضعها الله فى الدنيا: فالنيل نهر العسل فى الجنة، والفرات نهر الخمر فى الجنة، وسيحان نهر الماء فى الجنة، وجيحان نهر اللبن فى الجنة".

وقال الحارث بن أبى أسامة فى مسنده 4: حدثنا سعيد بن شرحبيل، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الخير قال قال كعب [2]: "نهر النيل نهر العسل فى الجنة، ونهر دجلة نهر اللبن فى الجنة، ونهر الفرات نهر الخمر فى الجنة، ونهر سيحان نهر الماء فى الجنة. قال: فأطفأ الله نورهن ليصيرهن [3] إلى الجنة". أخرجه البيهقى فى البعث والنشور، والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد 5.

---

(١) فى جـ: بن.

(٢) هذه اللفظة مثبتة من جـ. وهى موافقة لما فى سند الحارث (٢/ ٩٤٤).

(٣) هذه اللفظة مثبتة من جـ. وكذا فى مسند الحارث (٢/ ٩٤٤).

---

1 هو أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصارى، المعروف بأبى الشيخ الأصبهانى، وصفه الذهبى بأنه حافظ أصبهان ومسند زمانه، كان صالحا خيرا. توفى سنة ٣٦٩ هـ.

2 العظمة (٤/ ١٤١٩).

3 فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٦٣.

4 مسند الحارث (زوائد مسند الحارث) للهيثمى (٢/ ٩٤٤).

5 تاريخ بغداد (١/ ٥٥).

وقال الخطيب فى تاريخه 1: أخبرنا الحسن بن أبى بكر، أنبأنا أبو على عيسى بن محمد الطوماري، حدثنا (أحمد بن محمد) [1] البراء][2]، حدثنا عبد المنعم بن إدريس، حدثنى أبى قال: "ذكر وهب بن منبه أن فى ربض [3] الجنة نهرا من أنهار الجنة، فهو أصل أنهار الأرض [4] كلها، التى أظهرها الله سبحانه حيثما أراد أن يظهرها، وأن النيل نهر العسل فى الجنة، ودجلة نهر اللبن فى الجنة، والفرات نهر الخمر فى الجنة، وسيحان وجيحان نهران بأرض الهند وهما نهرا الماء فى الجنة".

وقال ابن عبد الحكم 2: حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن ربيعة، عن يزيد بن أبى حبيب أن معاوية بن أبى سفيان سأل كعب الأحبار: "هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله خبرا ؟ قال: إى والذى فلق البحر لموسى، إنى لأجده فى كتاب الله يوحى إليه فى كل عام مرتين: يوحى إليه عند جريه: إن الله يأمرك أن تجرى، فيجرى ما كتب الله له، ثم يوحى إليه بعد ذلك: يا نيل عد حميدا". أخرجه القضاعى فى كتاب عجائب مصر من وجه آخر عن ابن [5] لهيعة.

وقال ابن عبد الحكم 3: حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن لهيعة [6]، عن واهب بن عبد الله المعافرى، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: "نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب. فإذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر الله كل نهر أن يمده، فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله

---

(١) فى ج: محمد بن أحمد.
(٢) ما بين المعقوفتين من صفحة ١٧١ إلى هنا ليس فى ب.
(٣) فى الأصل: ريض. والربض: الناحية. يقال: ربض المدينة، أى: ما حولها.
(٤) فى ج: الأصل.
(٥) فى النسخ المخطوطة: أبى.
(٦) فى ب، ج: ربيعة.

---

1 تاريخ بغداد (١/ ٥٦).
2 فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٦٣.
3 فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٦٢. وأورده ابن كثير فى تفسيره (٤/ ١٤٢).

له الأرض عيونا. فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره". أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره عند قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ 1.

وأخرجه القضاعى فى عجائب مصر من وجه آخر عن ابن [1] لهيعة.

وأورد ابن زولاق 2 وغيره عن عبد الله بن عمرو قال: "لما خلق الله آدم مثل له الدنيا مشرقها ومغربها، وسهلها وجبلها، وأنهارها وبحارها، وبناءها وخرابها، ومن يسكنها من الأمم، ومن يملكها من الملوك. فلما رأى مصر رأى أرضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة، تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب إليه بالرحمة، فى سفحه أشجار مثمرة فروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة. فدعا آدم فى النيل بالبركة، ودعا فى أرض مصر بالرحمة، وبارك على سهلها وجبالها".

وأورد غيره عن عبد الله بن سلام قال: "مصر أم البركات، تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب، وإن الله يوحى إلى نيلها فى كل عام مرتين، مرة عند جريانه، فيوحى الله إليه: إن الله يأمرك أن تجرى كما تؤمر. ثم يوحى إليه ثانية: إن الله يأمرك أن تغيض [2] حميدا، فيغيض [3]. وإن بلد مصر بلد معافاة، وأهلها أهل عافية، وهى آمنة ممن يقصدها بسوء، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه، ونهرها نهر العسل، و مادته من الجنة، وكفى بالعسل طعاما وشرابا".

---

(١) فى ج: أبى.
(٢) فى ب: تقبض.
(٣) فى ب: فيقبض.

---

1 سورة الدخان، الآية ٢٥.

2 هو أبو محمد، الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن، من ولد سليمان بن زولاق، الليثى بالولاء، مؤرخ مصرى، ولى المظالم فى أيام الفاطميين بمصر، وكان يظهر التشيع لهم. توفى سنة ٣٨٧ هـ.

وأورد [1] عن حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم يرفعه: « **إن الله يقول يوم القيامة لساكنى مصر يعدد عليهم: ألم أسكنكم مصرا، فكنتم تشبعون من خبزها، وترووون من مائها ؟** » 1.

وقال ابن عبد الحكم 2: حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن لهيعة، عن عياش بن عباس القتبانى، عن حنش [2] بن [3] عبد الله الصنعانى، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: "كان مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام نائما إلى جنب حام، فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر، فأجابه سام ولم يجبه حام، فدعا عليه أن يجعل ولده أذلاء، وأن يجعلهم عبيدا لولد سام. فلما سمع مصر دعاء نوح على جده وولده قام يسعى إلى نوح، وقال: يا جدى قد أجبتك إذ لم يجبك أبى ولا أحد من ولده، فاجعل لى دعوة من دعوتك. ففرح نوح ووضع يده على رأسه، وقال: اللهم إنه قد أجاب دعوتى؛ فبارك فيه وفى ذريته، وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد، التى نهرها أفضل أنهار الدنيا، واجعل فيها أفضل البركات، وسخر له ولولده الأرض وذللها لهم، وقوهم عليها.

(وقال الليث بن سعد) [4] عن يزيد بن أبى حبيب، عن سالم بن [5] أبى سالم، عن عبد الله بن عمرو قال: "إنى لأعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر. قال فقلت له: ما يخرجنا منها يا أبا محمد، أعدو ؟ قال: لا، ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا، يغور فلا يبقى منه قطرة حتى يكون فيه الكثبان من الرمل، وتأكل سباع الأرض حيتانه".

---

(١) زاد بعدها فى ج: غيره.
(٢) فى الأصل: حنس. وفى ب،ج: عنس. وصوبناه من فتوح مصر، ص ٥٩، وتهذيب الكمال(٧/ ٤٢٩).
(٣) فى النسخ الخطية: عن. وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه؛ فالذى يروى عن ابن عباس هو حنش بن عبد الله الصنعانى. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٤٢٩، ٤٣٠).
(٤) جاء مكان ما بين القوسين فى ج: وحكى.
(٥) فى الأصل: عن. وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه. انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ١٤١).

---

1 لم نقف على تخريجه مع وفرة المصادر الحديثية التى نرجع إليها.
2 فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٩.

وعن وهب بن منبه قال:"خراب مصر من انقطاع النيل، واختلاف الجيوش فيها"1 .

وعن عبد الله بن الصامت قال: "إن أسرع الأرضين خرابا البصرة ومصر. قيل: وما يخربها وفيهما عيون الرجال والأموال ؟ فقال: يخربها القتل الأحمر والجوع الأغبر، كأنى بالبصرة كأنها نعامة جاثمة، وأما مصر فإن نيلها ينضب - أو قال ييبس - فيكون ذلك خرابها" 2.

وقال قاسم بن أصبغ: حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمرة، عن الشيبانى أنه قال: "تهلك مصر غرقا أو حرقا" 3.

وقال أبو [1] الحسن بن الخير بن الموصلى الفراء فى فوائده: أخبرنا الحسين بن الصميدع الإنطاكى، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن [2] عبد الله بن دينار: أن كعبا كان يقول: "خراب الجزيرة اختلاف الجيوش فيها، وخراب أرمينية الصواعق، وخراب مصر انقطاع نيلها".

*** ذكر كلام الناس فى منبع النيل ومخرجه وزيادته :**

قال صاحب (مباهج الفكر) 4: ذكر أبو الفضل [3] قدامة بن جعفر فى كتاب (الخراج): أن جميع ما فى العمور من الأنهار مائتان وثمانية وعشرون نهرا، منها ما يجرى من المشرق إلى المغرب، ومنها ما يجرى من الشمال إلى الجنوب، ومنها ما

---

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٢) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٣) زاد بعدها فى ج: بن.

---

1 أخرجه أبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (٤/ ٨٨٢).

2 أخرجه أبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (٤/ ٩٠٧)، (٤/ ٩١٥).

3 أخرجه أبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (٤/ ٩١٦).

4 هو كتاب: مباهج الفكر ومناهج العبر، لمحمد بن عبد الله الأنصارى الكتبى، المعروف بالوطواط، المتوفى سنة ٧١٨ هـ.

جريانه كنهر النيل من الجنوب إلى الشمال، ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون.

قال: فأما النيل فذكر قدامة أن انبعاثه من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار، كل خمسة منها تصب إلى بطيحة 1، ثم يخرج من كل بطيحة نهران، وتجرى الأربعة أنهار إلى بطيحة كبيرة فى الإقليم الأول، ومن هذه البطيحة يخرج نهر [1] النيل.

وذكر صاحب 2 كتاب (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق): أن هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى، منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين، يأكلون من وقع إليهم من الناس، ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانه وبحر الحبشة، فإذا خرج النيل منها شق بلاد كورى، ثم بلاد منر [2]: طائفة من السودان بين كانم والنوبة، فإذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربها [3] إلى المغرب، وانحدر إلى [4] الإقليم الثانى، فيكون على شطيه عمارة النوبة، وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى، ثم يشرف إلى الجنادل [5]، وإليها تنتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الأعلى صعودا، وهناك أحجار مضرسة لا مرور للمراكب عليها إلا فى وقت زيادة النيل، ثم يأخذ إلى الشمال، فيكون على شرقى مدينة أسوان من الصعيد الأعلى، ثم يمر بين جبلين مكتنفين لأعمال مصر شرقى وغربى إلى الفسطاط، فإذا تجاوزها مسافة يوم انقسم قسمين: أحدهما يمر حتى يصب فى بحر الروم عند

---

(١) فى الأصل: لهم.
(٢) فى الأصل: نتر.
(٣) فى ج: غربيها.
(٤) فى ج: من.
(٥) فى ب، ج: الجداول.

---

1 البطيحة: بطن المسيل.
2 صاحبه هو الشريف محمد بن محمد الإدريسى الصقلى. وكان تأليفه لهذا الكتاب فى منتصف المائة السادسة من الهجرة.

دمياط، ويسمى بحر الشرق. والآخر - وهو عمود النيل ومعظمه - حتى يصب فى بحر الروم عند رشيد، ويسمى بحر الغرب.

ومسافة النيل من منبعه إلى أن يصب فى رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا، وقيل: إنه يجرى فى الخراب أربعة أشهر، وفى بلاد السودان شهرين، وفى بلاد الإسلام شهرا، وليس فى الأرض نهر يزيد حين تنقص الأنهار غيره، وذلك أن زيادته تكون فى القيظ الشديد فى شمس السرطان والأسد والسنبلة. وروى أن الأنهار تمده بمائها.

وقال قوم: إن زيادته من ثلوج يذيبها الصيف، وعلى حسب مددها تكون كثرته وقلته.

وذهب آخرون إلى أن زيادته بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة.

وذهب آخرون إلى أن زيادته على اختلاف الرياح، وذلك أن الشمال[1] إذا هبت عاصفة تهيج البحر الرومى، فيدفع إليه ما فيه منه فيفيض على وجه الأرض، فإذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر، فيسترجع منه ما رده إليه فينقص.

وزعم آخرون أن زيادته من عيون على شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه.

وقال آخرون: إن مجراه من جبال الثلج وهى بجبل قاف، وإنه يخرق البحر الأخضر، ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان، فيسير ما شاء الله إلى أن يأتى إلى بحيرة الزنج. قالوا: ولولا دخوله فى البحر الملح وما يختلط به منه لم يستطع شربه لشدة حلاوته.

وزيادته بتدريج وترتيب فى زمان مخصوص ومدة معلومة، وكذلك نقصه. ومنتهى زيادته التى يحصل بها الرى لأرض [2] مصر ستة عشر ذراعا[3] - والذراع

---

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل. والشمال: اسم للريح التى تهب من جهة الشمال.

(٢) فى ج: لأهل.

(٣) وردت كلمة "ذراع" فى الأصل مذكرة غالبا، مؤنثة أحيانا، وقد أثبتناها كما هى لجواز الأمرين.

أربعة وعشرون أصبعا - فإن زاد على الستة عشر ذراعا واحدا ازداد فى الخراج مائة ألف دينار لما يروى من البلاد العالية. والغاية القصوى فى الزيادة ثمانية عشر ذراعا. هذا فى مقياس مصر. فإذا انتهى فيه إلى ذلك كان فى الصعيد الأعلى اثنين وعشرين ذراعا؛ لارتفاع البقاع التى يمر عليها ويسوق الرى إليها. فإذا انتهت زيادته فتحت خلجانا وترع [1] يجرى الماء فيها يمينا وشمالا إلى البلاد البعيدة عن مجرى النيل، حكمة دبرت بالعقول السليمة وقدرت، ومنافع مهدت فى الزمن القديم وقررت.

ويحصل لأهل مصر يوم وفائه الستة عشر - التى هى قانون الرى - سرور شديد بحيث يركب الملك فى خواص دولته الحراريق [2] المزينة إلى المقياس، ويمد فيه سماطا، ويخلق العمود الذى يقاس فيه، ويخلع على القياس ويعطيه صلة مقررة له.

وقد ذكر بعض المفسرين أنه يوم الزينة الذى وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع فيه. هذا كله كلام مباهج الفكر.

وفى الخطط 1 للمقريزى: ذهب قوم إلى أن زيادة النيل إنما تكون بسبب المد الذى يكون فى البحر المالح، فإذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الأراضى، فإذا حصل الجزر [3] تراجع البحر ونقص النيل، ووضع فى ذلك كتابا. انتهى.

قلت: وقد ورد فى المد والجزر حديث مرفوع 2، وقد اختلف فى ضبط جبل القمر، فقيل: إنه بفتح القاف والميم، بلفظ القمر رفيق الشمس.

قال التيفاشى: وإنما سمى بذلك لأن العين تقمر فيه إذا نظرت إليه لشدة بياضه.

---

(١) كذا رسمت بالنسخ المخطوطة. والوجه أن تكون منصوبة (ترعا).

(٢) فى الأصل: الحرايق. وفى ب: المراكب.

(٣) فى ج: الجز.

---

1 (١/ ٥٥).

2 الذى وقفنا عليه حديث موقوف عن ابن عباس أخرجه أحمد فى مسنده (٥/ ٣٨٢). وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/ ١٣٤): رواه أحمد وفيه من لم أعرفه.

قال: وبذلك أيضا سمى القمر قمرا. قال: وهذا الجبل مستطيل من المشرق للمغرب، نهايته فى ناحية المغرب إلى حد الخراب، ونهايته فى المشرق إلى مثل ذلك، وهو نفسه بجملته فى الخراب من ناحية الجنوب، وله أعراق فى الهوى منها طوال ومنها دونها.

وذكر بعضهم أن ناسا انتهوا إلى هذا الجبل وصعدوه، فرأوا وراءه بحرا عجاجا، ماؤه أسود كالليل يشقه نهر أبيض كالنهار، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله، ويتشعب على قبو هرمس المبنية هناك، وزعموا أن هرمس الهرامسة - وهو إدريس عليه السلام فيما يقال - بلغ ذلك الموضع وبنى به قبة.

وذكر بعضهم أن ناسا صعدوا الجبل، فصار الواحد منهم يضحك ويصفق بيديه، وألقى نفسه إلى وراء الجبل، فخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك فرجعوا. وقيل: إن أولئك إذا رأوا حجر الباهت [1] وهى أحجار براقة كالفضة البيضاء تتلألأ، كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت، وتسمى مغناطيس الناس.

وذكر بعضهم أن ملكا من ملوك مصر الأول [2] جهز ناسا للوقوف على أول النيل، فانتهوا إلى جبال من نحاس، فلما طلعت عليها الشمس انعكست عليهم الأشعة الواقعة عليهم فأحرقتهم.

وقيل: إنهم انتهوا إلى جبال براقة لماعة كالبلور، فلما انعكست عليهم أشعة الشمس الواقعة عليها [3] أحرقتهم.

وقال بعضهم: جبل القمر - بضم القاف وسكون الميم وراء مهملة - جبل جزيرة تسمى جزيرة القمر بهذا الضبط، تحاذى جزيرة سرنديب، طولها أربعة أشهر فى عرض (عشرين يوما) [4]، وإليها ينسب الطائر القمرى. وممن ضبطه كذلك

---

(١) فى ج: الباهب.

(٢) هذه اللفظة ليست فى ب، ج.

(٣) فى ب، ج: عليهم.

(٤) جاء مكان ما بين القوسين فى ج: شهرين.

ياقوت الحموى فى كتاب « المشترك وضعا المختلف وقعا »، وعلى بن سعيد المغربى وغيرهما، ونقله الملك المؤيد إسماعيل فى كتاب تقويم البلدان.

وقال صاحب مرآة الزمان 1: ذكر أحمد بن بختيار أن العين التى فى أصل النيل هى أول العيون من جبل القمر، ثم ينبعث منها عشرة أنهار نيل مصر أحدها. قال: والنيل يقطع الإقليم الأول ثم يجاوزه إلى الثانى، ومن ابتدائه من جبل القمر إلى انتهائه إلى البحر الرومى ثلاثة آلاف فرسخ، ويبتدئ بالزيادة فى نصف حزيران [1] وينتهى إلى أيلول.

واختلفوا فى سبب زيادته، فقال قوم: لا يعلم ذلك إلا الله تعالى [2]. وقال آخرون: سببه زيادة عيونه. وقال آخرون - وهو الظاهر -: سببه كثرة المطر والسيول ببلاد الحبشة والنوبة، وإنما يتأخر وصوله إلى الصيف لبعد المسافة. ورد ذلك قوم بأن عيونه التى تحت جبل القمر تتكدر فى أيام زيادته، فدل على أنه فعل الله من غير المطر.

قال: وجميع الأنهار تجرى إلى القبلة سواه، فإنه يجرى إلى ناحية الشمال، وكذا العاصى بحماه. قال: ومتى بلغ ستة عشر ذراعا استحق السلطان الخراج، وإذا بلغ ثمانية عشر ذراعا. قالوا: يحدث بمصر وباء عظيم. انتهى.

وقال التيفاشى فى سجع الهديل: ذكر جماعة من المنجمين وأرباب الهيئة أن النيل يجىء من خلف خط الاستواء بإحدى عشرة درجة ونصف، ويأخذ نحو الجنوب إلى أن ينتهى إلى دمياط والإسكندرية وغيرهما عند عرض ثلاثين فى الشمال. قالوا: فمن بدايته إلى نهايته اثنان وأربعون ومائة درجة، كل درجة ستون ميلا وثلث بالتقريب، فيكون طوله من الموضع الذى يبتدئ منه إلى الموضع الذى يصب فيه إلى

---

(١) فى ب: حنقران.

(٢) زاد بعدها فى ج: وهو الصواب.

---

1 مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزى، توفى سنة ٦٥٤ هـ.

البحر المالح ثمانية آلاف ميل وستمائة (وأربعون) [1] ميلا وثلثا [2] ميل على القصد والاستواء، وله تعريجات شرقا وغربا يطول ذكرها [3] ويزيد على ما ذكرناه.

قال التيفاشى: زيادة النيل هبوب ريح تسمى الملتن [4]، وذلك لسببين: أحدهما أنها تحمل السحاب الماطر خلف خط الاستواء، فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة. والثانى أنها تأتى فى وجه البحر المالح، فيقف ماؤه فى وجه النيل، فيتراجع حتى يروى البلاد.

وفى ذلك يقول الشاعر:

اشفع فللشافع أعلى يد عندى وأسنى من يد المحسن
فالنيل ذو فضل ولكنه الشكر فى ذلك للملتن

وقال المسعودى: قالت الهند: زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الأمطار. وقالت الروم: زيادته و نقصانه من عيون كثرت واتصلت. وقال القبط: هى من عيون فى شاطئيه يراها من سافر ولحق بأعاليه. وقال قوم: زيادته بريح الشمال إذا كثرت واتصلت تحبسه فتفيض على وجه الأرض. وقال قوم: سبب زيادته هبوب ريح تسمى الملتن، وذلك أنها تحبس السحاب الماطر خلف خط الاستواء، فتمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة، فيصل مدده إلى مصر بزيادة النيل، ومع ذلك فإن البحر المالح يقف ماؤه فى وجه النيل فيتوقف حتى يروى البلاد، ويبتدئ النيل بالزيادة بقية بؤونة وهو حزيران، وأبيب وهو تموز، ومسرى وهو آب. فإذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله - وهو أيلول - إلى انقضائه [5]، فإذا انتهت الزيادة إلى ثمانية عشر ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الأرض، وفى سبعة عشر ذراعا كفايتها، فإذا

---

(١) فى ب: وأربعة عشر. وفى ج: وأربعة وعشرون.
(٢) فى ب: وثلث.
(٣) فى ب، ج: بها.
(٤) وردت هذه اللفظة بالنسخ المخطوطة هكذا: الملثف. وصوبناها من الشعر الوارد بعد ذلك.
(٥) فى ب، ج: نقصانه.

زاد على ثمانية عشر عقبه حدوث وباء، وأكثر الزيادات ثمانية عشر، وقد بلغ فى خلافة عمر بن عبد العزيز تسعة عشر ذراعا، ومساحة الذراع إلى أن يبلغ اثنى عشر ذراعا ثمانية وعشرون أصبعا، ثم يكون أربعة وعشرين أصبعا إلى نهايته 1، وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع، وفى تلك السنة يكون الماء قليلا. والأذرع التى يستسقى عليها بمصر ذراعان يسميان منكرا ونكيرا، وهما الذراع الثالث عشر والرابع عشر، إذا تخلفت الزيادة عنهما استسقى الناس بمصر، وكان الضرر الشامل لكل البلدان. وإذا تم خمسة عشر ودخل فى ستة عشر كان فيه صلاح لبعض الناس ولا استسقاء فيه، وكان ذلك نقصا من خراج السلطان، وقد كانت مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا عامرها وغامرها؛ لما أحكموا من جسورها وبناء قناطرها وتنقية خلجانها، وقد تغير ذلك المعمول عليه فى وقتنا هذا، وهو سنة خمس وأربعين وثلاثمائة: أنه إن زاد على الستة عشرذراعا أو نقص (عنها نقص) [1] من خراج السلطان.

قال: وقد كانت مصر فى أول الزمان يركب أرضها ماء النيل بأسرها، ولم يزل الماء ينضب عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعمائر، وطرقوا للماء، وحفروا له الخلجان، وعقدوا فى وجهه المسنيات 2.

وذكر أرسطاطاليس 3 فى كتاب الآثار العلوية أن النيل كان يطيف على أرض مصر فيملأ ما بين الجبلين، وكان الناس يسكنون بالمغائر فى جبل المقطم، وكان فيه مغائر متسعة تنفذ إلى القلزم. كل مغارة تسع أهل مدينة.

وقال أحمد بن يوسف التيفاشى فى كتاب سجع الهديل فى أوصاف النيل: ذكر

---

(١) ما بين القوسين لم يرد بالأصل.

---

1 أى: نهاية عمود مقياس النيل بالروضة.

2 المسنيات: جمع المسناة، وهى سد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر، به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة.

3 هو طبيب يونانى، أتم دراسته فى اليونان والإسكندرية، ثم أقام بروما، له نحو (٥٠٠) مؤلف فى الطب والفلسفة. توفى حوالى سنة ٢٠٠ م.

أئمة التاريخ أن آدم عليه السلام أوصى لابنه شيث، فكان فيه وفى بنيه النبوة والدين، وإنه جاء إلى أرض مصر - وكانت تدعى بايلون - فنزلها، وسكن فوق الجبل، ثم استخلف من بعده ابنه أنوش، ثم ابنه قينان، ثم ابنه مهلابيل، ثم ابنه يرد، ثم ابنه خنوخ، وهو هرمس وهو إدريس النبى عليه السلام، فنظر فى تدبير أمر مصر، وكان النيل يأتيهم سيحا، فينحازون عن مسيله إلى أعالى الجبال والأرض العالية حتى ينقص، فينزلون فيزرعون حيث ما وجد والأرض برية، وكان يأتى فى وقت الزراعة وفى غير وقتها. فجمع إدريس عليه السلام أهل مصر، وصعد بهم إلى أول مسيل النيل إليها، ودبر وزن الأرض ووزن الماء على الأرض، وأمرهم بإصلاح ما أراد من خفض المرتفع ورفع المنخفض، وغير ذلك مما رآه من علم النجوم والهندسة والهيئة.

وكان أول من تكلم فى هذه العلوم ووضع فيها الكتب ورسم فيها التعليم. ثم سار إلى بلاد الحبشة والنوبة وغيرها، وجمع أهلها، وزاد فى مسافة جرى النيل ونقص بحسب بطئه وسرعته فى طريقه، حتى عمل حساب جريه ووصوله إلى أرض مصر فى زمن الزراعة على ما هو عليه الآن. فهو أول من دبر جرى النيل إلى مصر.

وقال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب أخبار مصر وعجائبها: عمقام أحد ملوك مصر، يقال: إن إدريس عليه السلام رفع فى أيامه، وأنه رأى فى علمه كون الطوفان، فبنى خلف خط الاستواء قصرا فى سفح جبل القمر من نحاس، وجعل فيه خمسة وثمانين تمثالا من نحاس يخرج ماء النيل من حلوقها ويصب فى بطحاة تنتهى إلى مصر، وفى هذا القصر عجائب.

وقال ابن الوردى فى كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب: نهر النيل ليس فى الدنيا أطول منه لأنه مسيرة شهرين فى الإسلام، وشهرين فى الكفر (وشهرين فى البرية) [1]، وأربعة أشهر فى الخراب، ومخرجه من جبل القمر خلف خط

(١) ما بين القوسين ليس فى ج.

الاستواء، وسمى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه أصلا لخروجه من خط الاستواء، وميله عن نوره وضوئه، يخرج من بحر الظلمة ويدخل تحت جبل القمر.

قال رسول الله ﷺ: « إن النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها » 1.

وكان عمقام وهو هرمس الأول قد حملته الشياطين إلى هذا الجبل المعروف بالقمر، ورأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود ويدخل تحت جبل القمر، وبنى فى سفح ذلك الجبل قصرا فيه خمس وثمانون تمثالا من نحاس جعلها جامعة لما يخرج من الماء من هذا الجبل بمعاقد ومصاب وأحكام مدبرة، يجرى الماء منه إلى تلك الصور [١] والتماثيل، فيخرج من حلوقها على قياس معلوم وأذرع معلومة، فينصب إلى أنهار كثيرة، فيتصل بالبطيحتين، ويخرج منهما حتى يصل إلى البطيحة الجامعة، وعلى هذه البطيحة بلاد السودان (ومدينتها العظمى طرمى [٢]، وبالبطيحة جبل معترض يشقها ويخرج نحو الشمال) [٣] مغربا، فيخرج النيل منه نهرا واحدا ويفترق فى أرض النوبة، ففرقة إلى أقصى المغرب، وعلى هذه الفرقة غالب بلاد [٤] السودان، والفرقة التى تصب إلى أرض [٤] مصر منحدرا من أرض أسوان تنقسم فى بحرى [٥] البلاد على أربع فرق كل فرقة إلى ناحية، ثم تصب فى بحر الإسكندرية، ويقال: إن ثلاثا منها تصب فى البحر الشامى، وفرقة منها تصب فى البحيرة المالحة التى تنتهى إلى الإسكندرية، والأذرع التى صنعها عمقام هى ثمانية عشر ذراعا، كل ذراع اثنان وثلاثون أصبعا، وما زاد على ذلك فهو صائر إلى رمال لا منفعة فيها، ولولا ذلك لغرقت البلاد.

---

(١) فى الأصل، ب: الصورة.
(٢) فى الأصل: طرفى.
(٣) ما بين القوسين ليس فى ب.
(٤) هذه اللفظة مثبتة من ج.
(٥) فى الأصل، ب: مجرى.

---

1 سبق تخريجه.

وذكروا أن سيحون وجيحون والنيل والفرات كلها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال [1] هناك وتسلك على البحر المظلم، وهى أحلى من العسل وأزكى رائحة من المسك، ولكنها تتغير بتغير المجارى، وليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال، ويمر فى شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها، وتزيد بترتيب وتنقص بترتيب - غير النيل، وسبب مده أن الله تعالى يبعث عليه الريح الشمالية فيتغير عليه البحر المالح، فيصير كالمسكن له، فيزيد حتى يعم البلاد، فإذا بلغ حد الرى بعث الله تعالى عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر.

وقال ابن المتوج فى كتاب إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل: من عجائب مصر النيل الذى يأتى من غامض علم الله تعالى فى زمن القيظ فيعم البلاد سهلا ووعرا، يبعث الله فى أيام مدده الريح الشمالى، فيصدر له البحر المالح. ويصير له كالجسر ويزيد، وإذا بلغ الحد الذى هو تمام الرى وأوان الزراعة بعث الله الريح الجنوب فكنسته وأخرجته إلى البحر المالح، وانتفع الناس بالزراعة.

وقال العلامة شيخ شيوخنا عز الدين بن جماعة 1 فى كتاب له فى الطب، ومن خطه نقلت: منبع النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء بإحدى عشرة درجة ونصف، وامتداد هذا الجبل خمس عشرة درجة وعشرين [2] دقيقة، يخرج منه عشرة أنهار من أعين فيه، ترمى كل خمسة إلى بحيرة عظيمة مدورة، بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة، والبعد عن خط الاستواء فى الجنوب سبع درج وإحدى وثلاثون دقيقة، وهاتان [3] البحيرتان [4] متساويتان، وقطر كل واحدة

---

(١) فى ب، ج: حال.

(٢) كذا وردت بالنسخ الخطية. والوجه أن يقال: وعشرون.

(٣) فى ب: وهذان.

(٤) فى الأصل: البحيرتين. ولعله سبق قلم من الناسخ.

---

1 هو أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد، المعروف بعز الدين بن جماعة، عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان، أصوله من حماه، وتتلمذ على ابن خلدون. توفى سنة ٨١٩ هـ.

خمس درج، ويخرج من كل واحدة أربعة أنهار ترمى إلى بحيرة مدورة فى الإقليم الأول، بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الإقليم الأول، وقطرها درجتان، ومصب [1] كل واحدة من الأنهار الثمانية فى هذه البحيرة غير مصب الآخر. ثم يخرج من هذه البحيرة نهر واحد - وهو نيل مصر - ويمر ببلاد النوبة، ويصب إليه نهر آخر ابتداؤه من غير مركزها على خط الاستواء فى بحيرة كبيرة مستديرة، قطرها ثلاث درج، وبعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب إحدى وسبعون درجة. فإذا تعدى النيل مدينة مصر إلى مدينة يقال لها شطنوف تفرق هناك إلى نهرين يرميان إلى البحر المالح، أحدهما يعرف ببحر رشيد، والآخر ببحر دمياط. وهذا البحر إذا وصل إلى المنصورة تفرع منه نهر يعرف ببحر أشمون يرمى إلى بحيرة هناك، وباقيه يرمى إلى البحر المالح عند دمياط.

وذكر الجاحظ [2] فى كتاب الأمصار أن مخرج نهر السند والنيل من موضع واحد، واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما، وكون التمساح فيهما، وأن سبيل زراعتهم فى البلدين واحد.

وقال المسبحى 1 فى تاريخ مصر: فى بلاد تكنه - أمة من السودان أرضهم تنبت الذهب - يفترق النيل فيصير نهرين، أحدهما أبيض وهو نيل مصر، والآخر أخضر يأخذ إلى المشرق فيقطع البحر المالح إلى بلاد السند، وهو نهر مهران.

وقال المسعودى: رأيت فى كتاب (هراقيا): النيل مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر، ومنبعه مبدأ ظهوره من اثنتى عشرة عينا، فتصب تلك المياه إلى بحيرتين هناك

---

(١) فى ب، ج: وتصب. والصواب ما أثبتناه لموافقته لما بعده.
(٢) ليست فى ج.

---

1 هو محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى، المعروف بعز الملك، أمير، مؤرخ، عالم بالأدب، كان على زى الأجناد. أصله من حران، ومولده ووفاته بمصر، اتصل بخدمة الحاكم ابن العزيز العبيدى صاحب مصر، وقلده البهنسا، ثم ولاه ديوان الترتيب. توفى سنة ٤٢٠ هـ.

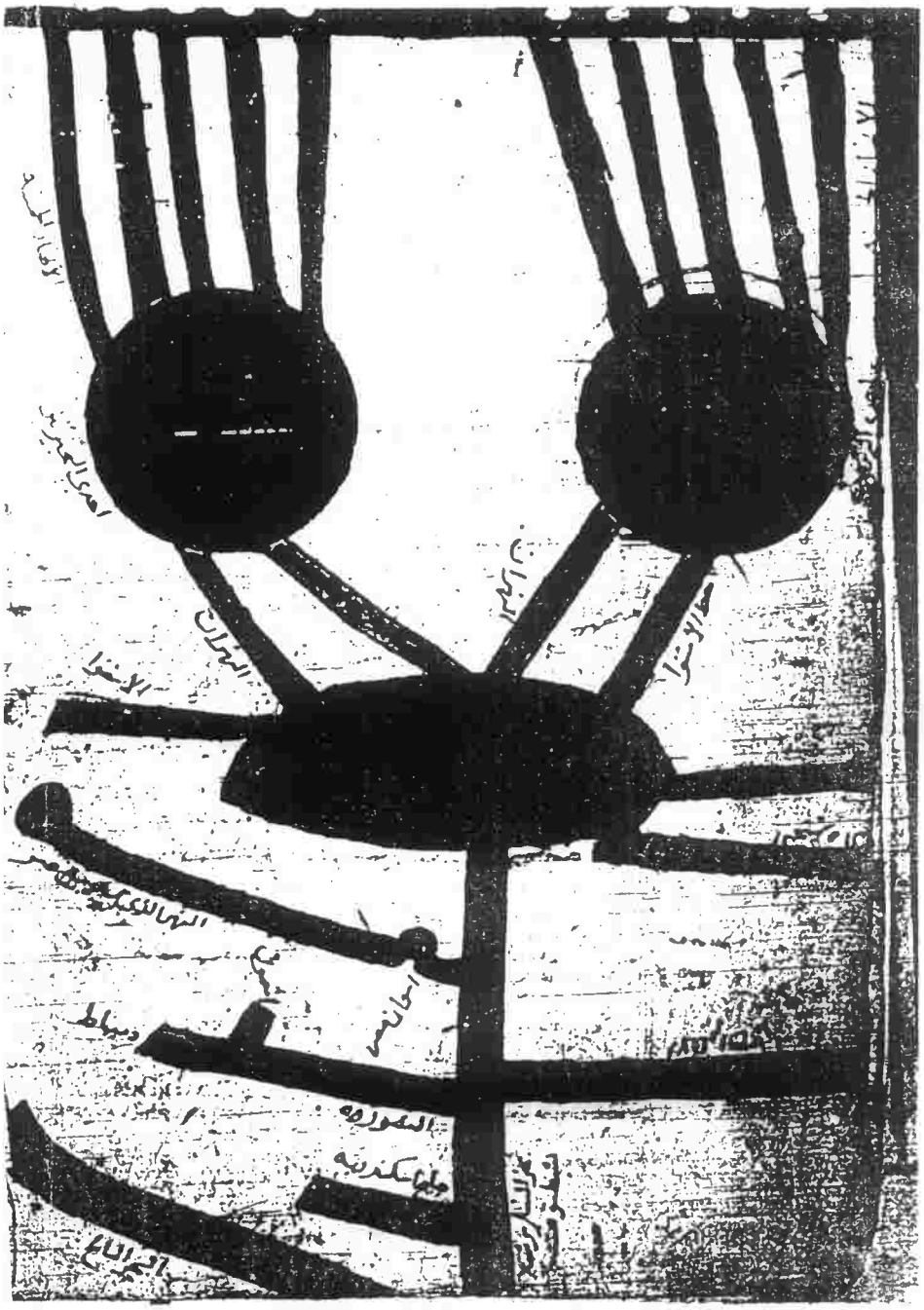

(١) لم يرد هذا الرسم فى: ب.

كالبطائح، ثم يجتمع الماء منها جاريا، فيمر برمال هناك وجبال، ويخرق أرض السودان مما يلى بلاد الزنج فيتشعب منه خليج، ويصب فى بحر الزنج، ويجرى على وجه الأرض تسعمائة فرسخ، وقيل: ألف فرسخ، فى عمران وخراب، حتى يأتى أسوان من صعيد مصر.

وقال القزوينى 1 فى عجائب المخلوقات: ليس فى الدنيا نهر أطول من النيل لأنه مسيرة شهرين [1] فى بلاد الإسلام، وشهرين فى بلاد النوبة، وأربعة أشهر فى الخراب إلى أن يخرج بجبال القمر خلف خط الاستواء، وليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال، ويمتد فى شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها، ويزيد بترتيب وينقص بترتيب - غيره.

وسبب مده أن الله تعالى يبعث الريح الشمال فيقلب عليه البحر المالح [2]، فيصير كالسد له، فيزيد فيه البر والتلال، ويجرى فى الخلجان يملؤها، وإذا بلغ الحد الذى هو تمام الرى أخرج الله الريح الجنوب فأخرجته من البحر، وانتفع الناس (بالزراعة مما) [3] أروى من الأرض.

ولما كان زمان يوسف عليه السلام عمل مقياسا يعرف به قدر الزيادة والنقصان يزرعون عليه، وإذا زاد على قدر كفايتهم يستبشرون بخصب السنة وسعة الرزق، وذلك المقياس عمود قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل لها طريق إلى النيل يدخلها إذا زاد، وعلى ذلك العمود خطوط معروفة عندهم، يعرفون بوصول الماء إليه مقدار زيادته، وأقل ما يكفى أهل مصر سنتهم أن يزيد أربعة عشر ذراعا، فإن زاد ستة

---

(١) فى الأصل: شهر.

(٢) فى ب، ج: الريح.

(٣) جاء مكان ما بين القوسين فى الأصل: فيها.

---

1 هو زكريا بن محمد بن محمود، من سلالة أنس بن مالك الأنصارى النجارى، مؤرخ، جغرافى، من القضاة، ولد بقزوين ورحل إلى الشام والعراق، وولى قضاء واسط والحلة فى أيام المعتصم. توفى سنة ٦٨٢ هـ.

عشر ذراعا زرعوا ما يفضل عن عامهم، وأكثر ما يزيد ثمانية عشر ذراعا، والذراع أربعة وعشرون أصبعا. فإذا استوى الماء كما ذكرنا عند المقياس كسر الخلجان حتى يملأ جميع أرض مصر، وتبقى التلال والرمال والقرى عليها، وسائر الأراضى تغمر بالماء [1]، فإذا استوفت الأرض الماء ورويت زرعت بأصناف الزرع، وحينئذ يبرد الحر [2] ولا تنشف الأرض. فإلى أن يدرك الزرع عاد الوقت يأخذ فى الحر حتى ينضج الزرع ويؤخذ فى حصاده، وفى ذلك عبرة. انتهى.

وقال المقريزى فى الخطط 1: يقال إن النيل ينصب عشرة أنهار من جبل القمر، كل خمسة أنهار من شعبة، تتبحر تلك الأنهار العشرة من بحيرتين، كل خمسة أنهار تتبحر فى بحيرة بذاتها، ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قاقول ويمتد إلى مدن هناك، ثم يصب فى البحر الهندى، ويخرج من البحيرتين أيضا ستة أنهار فى كل بحيرة ثلاثة أنهار، وتجتمع الأنهار الستة فى بحيرة متسعة (تسمى البطيحة) [3]، وفيها تضريسة جبل يفترق بها الماء نصفين، يخرج أحدهما من غربى البطيحة وهو نيل السودان، ويصير نهرا يسمى بحر الدمادم، يأخذ مغربا ما بين سمقرة وغانة على جنوبى سمقرة وشمالى غانة، ثم تنعطف منه هناك فرقة ترجع جنوبا إلى غانة ثم تمر على مدينة برنسه [4]، ثم تأخذ تحت جبل من جنوبها خارج عن خط الاستواء إلى رميلة، ثم تتبحر فى بحيرة هناك، وتستمر الفرقة مغربة إلى بلاد مالى والتكرور، حتى تنصب فى البحر المحيط شمالى مدينة قلبتو. ويخرج النصف الآخر متشاملا آخذا على الشمال إلى شرقى مدينة (حيمى، ثم يتشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقا إلى مدينة سحرت، ثم ترجع جنوبا، ثم تعطف) [5] شرقا بجنوب

---

(١) فى ب، ج: بالبحر.
(٢) فى ب، ج: الجو.
(٣) ما بين القوسين ليس فى ج.
(٤) فى ب: فرسه. وفى ج: درنسه.
(٥) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.

---

1 (١/٥٧).

إلى مدينة سحرت، ثم إلى (مدينة مركة) [1]، وينتهى إلى خط الاستواء حيث الطول خمسة وستون درجة، ويتبحر هناك بحيرة، ويستمر عمود النيل قبالة تلك الشعبة فى مدينة تسمى مقساملا [2] آخذا على أطراف بلاد الحبشة، ثم يتشامل [3] على بلاد السودان إلى مدينة دنقلة حتى يرمى على الجنادل إلى أسوان، وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد إلى مدينة فسطاط مصر، ثم يصب فى البحر الشامى، وقد استفيض ببلاد السودان أن النيل (فى أصله) [4] ينحدر من جبال سود تبين على بعد كأن عليها الغمام، ثم ينفرق عنها فرقتين تصب إحداهما فى البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبى، والأخرى تصل إلى مصر حتى تصب فى البحر الشامى.

ويقال: إنه فى الجنوب يتفرق سبعة أنهار تدخل فى صحراء منقطعة، (ثم تجتمع الأنهار السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا فى بلاد السودان. انتهى.) [5].

وقال الشيخ تقى الدين المقريزى فى الخطط 1: لا نزاع أن يخرج نهر النيل من جبل القمر.

وقد ذكر أبو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان: كان النيل [6] يتبدد على وجه الأرض، فلما قدم نقراوش الجبلى بن مصريم الأول بن مركائيل بن دوابيل بن عربات بن آدم عليه السلام إلى أرض مصر ومعه عدة من بنى عربات واستوطنوها وبنوا بها مدينة إمسوس [7] وغيرها من المدائن - حفروا النيل حتى أجروا ماءه إليهم، ولم

---

(١) جاء مكان ما بين القوسين فى ب: المدينة مركة. وفى ج: المدينة.
(٢) فى ب: ملا.
(٣) فى ب، ج: ينشأ.
(٤) ما بين القوسين ليس فى ج.
(٥) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.
(٦) هذه اللفظة ليست فى الأصل.
(٧) فى ب، ج: أشموسن.

---

1 (١/ ٥٢).

يكن قبل ذلك معتدل الجرى، بل ينبطح ويفترق فى الأرض حتى وجه إلى النوبة الملك نقراوش فهندسوه، وساقوا منه أنهارا إلى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها، وساقوا منه نهرا إلى مدينة إمسوس.

ثم لما خربت أرض مصر بالطوفان، وكانت أيام اليزدشير (بن قفط بن يبصر بن حام بن نوح عليه السلام - عدل جنبتى النيل تعديلا ثانيا بعد ما أتلفه الطوفان.

قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف: لما ملك اليزدشير) [1] - وهو أول من تكهن [2] وعمل بالسحر [3] واحتجب عن العيون - أرسل هرمس الكاهن (إلى جبل القمر الذى يخرج النيل من تحته، فعمل هناك التماثيل النحاس، وعدل) [4] البطيحة التى ينصب إليها ماء النيل.

ويقال: إنه الذى عدل جنبتى النيل، وكان يغيض، وربما انقطع فى مواضع. وهذا القصر الذى فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس وثمانين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد ومصاب مدبرة، وقنوات يجرى الماء إليها وينصب إليها إذا خرج من تحت جبل القمر حتى يخرج من تحت الصور ويخرج من حلوقها، وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع وأذرع مقدرة، وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب إلى الأنهار، ثم يصير منها إلى بطيحتين، ويخرج منها إلى بطيحة جامعة للماء الذى يخرج من تحت الجبل، وعمل لتلك الصور مقادير من الماء الذى يكون معه الصلاح لأهل مصر وينتفع به أهلها دون الفساد، وذلك الصلاح لانتهاء ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذى مقداره اثنان وثلاثون أصبعا، وما فضل عن ذلك عدل عن يمين تلك الصور وشمالها إلى مشارب تخرج وتصب فى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء، ولولا ذلك لغرق ماء النيل البلدان التى يمر عليها.

---

(١) ما بين القوسين ليس فى ب.

(٢) فى الأصل: تمكن.

(٣) فى الأصل: بالجسر.

(٤) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.

قال: وكان الوليد بن دومع الغمليقى سنح له أن يخرج ليقف على مصب النيل، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه، وخرج فى جيش كثيف، فلم يمر بأمة إلا أبادها، ومر على أمم السودان وجاوزهم، ومر على أرض الذهب فرأى فيها قضبانا ثابتة من ذهب، ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التى ينصب فيها ماء النيل من الأنهار التى تخرج من تحت جبل القمر، وسار حتى بلغ هيكل الشمس، وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال.

قال: وإنما سمى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خارج عن خط الاستواء. ونظر إلى النيل يخرج من تحته فيمر فى طرائق كأنهار دقاق حتى ينتهى إلى حظيرتين، ثم يخرج منها إلى نهرين حتى ينتهى إلى حظيرة أخرى، فإذا جاوز خط الاستواء أمدته عين تجرى من ناحية نكران [1] بالهند، وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر إلى ذلك الوجه.

ويقال: إن نهر نكران [1] مثل النيل يزيد وينقص، وفيه التماسيح والأسماك التى مثل أسماك النيل، ووجد الوليد بن دومع القصر الذى فيه التماثيل النحاس التى عملها هرمس الأول فى وقت اليزدشير بن قفط.

(قالوا: ولما بلغ الوليد جبل القمر فرآه عاليا أعمل الحيلة إلى أن صعد عليه) [2] ليرى ما خلفه، فأشرف على البحر الأسود الزفتى المنتن، ونظر إلى النيل يجرى عليه كأنهار الدقاق، فانتثر[3] من ذلك البحر روائح منتنة هلك بها كثير من أصحابه، فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك.

وذكر قوم أنهم لم يروا هناك شمسا ولا قمرا، بل نور الرحمن كنور الشمس عند غيابها.

---

(١) فى الأصل: سكران.

(٢) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.

(٣) فى ب، ج: فانصرف.

قال: وقد ذكر قوم من أهل الآثار أن الأنهار الأربعة - سيحون وجيحون والفرات والنيل - تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب التى من وراء البحر المظلم، وأن تلك الأرض من أرض الجنة، وأن تلك القبة من زبرجد، وأن حايدا من ولد العيص سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل، فأعطاه قوة على ذلك، وأنه قطع البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدميه منه شىء إلى أن وصل إلى تلك القبة. هكذا نقله المقريزى.

وذكر بعض الإخباريين أن حايدا لم يتنبأ، وأنه أوتى الحكمة، وأنه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطى قوة على ذلك، فوصل إلى جبل القمر، وقصد أن يطلع إلى أعلاه فلم يقدر، فسأل الله تعالى فيسره عليه، فصعد فرأى خلفه البحر الزفتى، (وهو بحر أسود منتن الريح مظلم، فرأى النيل يجرى فى وسطه كأنه السبيكة الفضية) [1].

وقد روينا قصة حايد هذا بأبسط من ذلك بالإسناد فى جزء النيل المشهور.

أخبرنى شيخنا قاضى القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر بن رسلان البلقينى [2]، وشيخنا الإمام تقى الدين أحمد بن محمد الشمنى، وشيخنا قاضى القضاة عز الدين أحمد ابن قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الكنانى الحنبلى، وحافظ الحجاز تقى الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن فهد الهاشمى، والشيخ جلال الدين أبو هريرة عبد الرحمن بن أبى الحسن ابن شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر بن الملقن إجازة منهم قالوا كلهم: أخبرنا حافظ العصر أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى إجازة عن أبى الفتح محمد ابن محمد الميدومى قال: أخبرتنا أمة الحق شامية بنت الحافظ صدر الدين الحسن بن محمد البكرى سماعا قالت: أنبأنا أبو حفص عمر بن طبرزد سماعا.

---

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.

(٢) هذه اللفظة ليست فى ج.

ح وأنبأنى عاليا أبو عبد الله محمد بن مقبل الحلبى (مكاتب من حلب) [1]، عن الصلاح محمد بن أبى عمر المقدسى، عن أبى الحسن بن البخارى، عن ابن طبرزد قال: أنبأنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندى وغيره قالوا: أنبأنا أبو الحسين [2] أحمد بن محمد بن النقور، أنبأنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحيم المخلص، أنبأنا عبيد الله بن عبد الرحيم بن عيسى السكرى قال: حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى وأبو بكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطى قالا: حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث قال: حدثنى الليث بن سعد قال: بلغنى أنه كان رجل من بنى العيص يقال له حايد بن أبى شالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام خرج هاربا من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر، فأقام بها سنين، فلما رأى أعاجيب نيلها وما يأتى به جعل الله تعالى عليه أن لا يفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت قبل ذلك، فسار عليه. قال بعضهم: ثلاثين سنة فى الناس وثلاثين سنة فى غير الناس، وقال بعضهم: خمسة عشر كذا، وخمسة عشر كذا، حتى انتهى إلى بحر أخضر، فنظر إلى النيل ينشق مقبلا، فصعد على البحر، فإذا رجل قائم يصلى تحت شجرة من تفاح، فلما رآه استأنس به وسلم عليه، فسأله الرجل: من أنت ؟ قال: أنا حايد بن أبى شالوم بن العيص بن إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام. فمن أنت ؟ قال: أنا عمران بن فلان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم. قال: فما الذى جاء بك يا حايد ؟ قال: جئت من أجل هذا النيل. فما جاء بك ههنا يا عمران ؟ قال: جاء بى الذى جاء بك حتى انتهيت إلى هذا الموضع، فأوحى الله [3] إلى أن أقف فى هذا الموضع حتى يأتينى أمره. قال له حايد: أخبرنى يا عمران ما انتهى إليك من أمر هذا النيل ؟ وهل بلغك فى الكتب أن أحدا من بنى آدم يبلغه ؟ قال له عمران: نعم بلغنى أن رجلا من بنى العيص يبلغه، ولا أظنه غيرك. قال له حايد: يا عمران أخبرنى كيف الطريق إليه ؟ قال له عمران: لست

---

(١) فى الأصل: مكاتبة من ذلك.

(٢) فى ب، ج: الحسن.

(٣) هذه اللفظة مثبتة من ج.

أخبرك بشيء إلا أن تجعل لى ما أسألك. قال: وما ذاك يا عمران ؟ قال: إذا رجعت إلى وأنت حى أقمت عندى حتى يوحى الله تعالى إلى بأمره ويتوفانى وتدفننى، فإن وجدتنى ميتا دفنتنى وذهبت. قال: ذلك لك على. قال له: سر كما أنت على هذا البحر، فإنك سترى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها، فلا يهولنك أمرها، اركبها فإنها دابة معادية للشمس إذا طلعت أهوت إليها لتلتقمها، حتى يحول بينها وبينها حجبتها، وإذا غربت أهوت إليها لتلتقمها، فتذهب بك إلى جانب البحر، فسر عليها راجعا حتى تنتهى إلى النيل، فسر عليه، فإنك ستبلغ أرضا من حديد، جبالها وأشجارها وسهولها من حديد، فإن أنت جزتها وقعت فى أرض من نحاس، جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس، فإن أنت جزتها وقعت فى أرض من فضة، جبالها وأشجارها وسهولها من فضة، فإن أنت جزتها وقعت فى أرض من ذهب، جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب، فيها إليك ينتهى علم هذا [1] النيل. فسار حتى انتهى إلى أرض الذهب، فسار فيها حتى انتهى إلى سور من ذهب وشرفة من ذهب وقبة من ذهب لها أربعة أبواب، فنظر إلى ما يتحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر فى القبة ثم ينصرف فى الأبواب الأربعة، أما ثلاثة فتغيض فى الأرض، وأما واحد فيسير على وجه الأرض وهو النيل، فشرب منه واستراح، وأهوى إلى السور ليصعد، فأتاه ملك فقال له: يا حايد، قف مكانك، فقد انتهى إليك علم هذا النيل. وهذه الجنة، وإنما ينزل 1 من الجنة. فقال: أريد أن أنظر إلى ما فى الجنة. فقال: إنك لن تستطيع دخولها اليوم يا حايد. قال: فأى شيء هذا الذى أرى ؟ قال: هذا الفلك الذى تدور فيه الشمس والقمر، وهو شبه الرحى. قال: إنى أريد أن أركبه فأدور فيه. فقال بعض العلماء: إنه قد ركبه حتى دار الدنيا. وقال بعضهم: لم يركبه. فقال له: يا حايد إنه سيأتيك من الجنة رزق فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا، فإنه لا ينبغى لشيء من الجنة أن يؤثر عليه شيء من الدنيا، إن لم تؤثر عليه شيئا من الدنيا بقى ما

---

(١) هذه اللفظة مثبتة من ب.

---

1 أى: النيل.

بقيت. قال: فبينما هو كذلك واقف إذ نزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة أصناف: لون كالزبرجد الأخضر، ولون كالياقوت الأحمر، ولون كاللؤلؤ الأبيض. ثم قال: يا حايد أما هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها. فارجع يا حايد، فقد انتهى إليك علم هذا النيل.

فقال: هذه الثلاثة التى تغيض فى الأرض ما هى ؟ قال: أحدها الفرات، والآخر دجلة، والآخر جيحان، فارجع. فرجع حتى انتهى إلى الدابة التى ركبها فركبها، فلما أهوت الشمس لتغرب قذفت به من جانب البحر، فأقبل حتى انتهى إلى عمران فوجده ميتا حين مات، فدفنه وأقام على قبره ثلاثا، فأقبل شيخ تشبه بالناس أغر 1 من السجود، ثم أقبل إلى حايد فسلم عليه، ثم قال له: يا حايد، ما انتهى إليك من علم هذا النيل ؟ فأخبره، فلما أخبره قال له: هكذا نجده فى الكتب، ثم طرى ذلك التفاح فى عينه، وقال: ألا تأكل منه ؟ قال: معى رزق أعطيته من الجنة، ونهيت أن أؤثر عليه شيئا من الدنيا. قال له: صدقت يا حايد، وما ينبغى لشىء من الجنة أن يؤثر عليه شىء من الدنيا! وهل رأيت فى الدنيا مثل هذا التفاح، إنما أنبتت له فى الأرض ليست من الدنيا، وإنما هذه الشجرة من الجنة، أخرجها الله لعمران يأكل منها، وما تركها إلا لك، ولو قد وليت عنها لرفعت. فلم يزل يطريها فى عينه حتى أخذ منها تفاحة فعضها، فلما عضها عض يده، ثم قال: أتعرفه ؟ هو الذى أخرج أباك من الجنة. أما إنك لو سلمت بهذا الذى معك لأكل منه أهل الدنيا قبل أن ينفد، وهو مجهودك أن يبلغك، فكان مجهوده أن بلغه [1]. وأقبل حايد حتى دخل أرض مصر فأخبرهم بهذا. فمات حايد بأرض مصر.

وبهذا الإسناد إلى عبد الله بن صالح قال: حدثنى ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافرى، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن

(١) فى الأصل: يبلغه.

1 أغر: وصف من الغرة بضم الغين المعجمة، وهى البياض فى الجبهة.

جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ [1] وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ 1 قال: «كانت الجنات بحافتى هذا النيل من أوله إلى آخره فى الشقين جميعا من أسوان إلى رشيد، وكان له سبعة خلج 2: خليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج صف، وخليج الفيوم، وخليج المنتهى، متصلة لا ينقطع منها شىء (عن شىء) [2]، وتزرع ما بين الجبلين، كله [3] من أول مصر إلى آخرها ما يبلغه الماء، وكانت جميع أرض [4] مصر كلها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا».

وبهذا الإسناد إلى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أنه كان على نيل مصر فرضة 3 لحفر خلجها، وإقامة جسورها، وبناء قناطرها، وقطع جزائرها [5] مائة ألف [6] وعشرون ألف فاعل معهم السطور والمساحى والأداة، يتعقبون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا.

---

(١) فى النسخ كلها: وزروع. ولعله سبق لسان أو قلم، والصواب ما أثبتناه من سورة الشعراء، أما آيتا سورة الدخان فهما ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

(٢) ما بين القوسين ليس فى ج.

(٣) فى الأصل: محله.

(٤) هذه اللفظة مثبتة من ج.

(٥) فى ب: حايزها.

(٦) زاد بعدها فى ب: فاعل.

---

1 سورة الشعراء، الآيتان ٥٧، ٥٨.

2 كذا جاءت: سبعة خلج. والمذكور على التفصيل بعدها ستة فقط.

3 الفرضة: محط السفن والمراكب.